إنزال الناس منازلهم
تطبيقاته وضوابطه مع بيان الواجب على صاحب المنزلة
دراسة دعوية

د.إبراهيم بن عبدالرحيم عابد

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة
كلية الشريعة والأنظمة
جامعة الطائف

المقدمة

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، وبعد : فهذه مقدمة للبحث تتضمن : أهمية موضوع البحث ، ومصطلحاته ومشكلته ، والدراسات السابقة في موضوعه ، ومنهج البحث .

أولاً : أهمية الموضوع

تظهر أهمية موضوع البحث من خلال النقاط الآتية :

١- التفاضل بين المخلوقات سنة إلهية كونية ؛ فالبشر والأمكنة والأزمنة تتفاضل فيما بينها ، وأفضل البشر - باتفاق المسلمين - الأنبياء[١] ، وأفضل الأنبياء الرسلُ[٢] ، ثم إن الأنبياء والرسل يتفاضلون فيما بينهم قال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض)[٣] ، (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات)[٤] ، وأفضلهم خاتمهم محمد ﷺ . وأصحاب النبي ﷺ هم خير أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم يتفاضلون فيما بينهم[٥]. والبشر يتفاضلون في منازلهم الأخروية عند الله تعالى وأفضلهم عنده أتقاهم ، قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٦] ، وهم يتفاوتون كذلك في منازلهم الدنيوية ، قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)[٧] .

وقد أمر النبي ﷺ بإنزال الناس منازلهم ، فقال : (أنزلوا الناس منازلهم)[٨] . وأمر بإكرام

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، ٤١٧/٢ .

(٢) جمهور العلماء على التفرقة بين النبي والرسول ، وكل رسول نبي ولاعكس ، انظر تفصيل ذلك في شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ، ص ٥٦٧-٥٦٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٥٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣ .

(٥) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ، ص ٩٠ .

(٦) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٧) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

(٨) سنن أبي داود ، ٢١٠/٧ برقم ٤٨٤٢ ، وحسَّن المحققان الحديث . وضعَّفه الألباني ، انظر : ضعيف سنن أبي داود ، ص ٣٩٥ برقم ٤٨٤٢ . وقد رواه مسلم في مقدمة صحيحه معلَّقاً ، انظر صحيح مسلم ، ٦/١ . وصحَّحه ابن الصلاح ، ونقل تصحيح الحاكم النيسابوري له في كتابه معرفة علوم الحديث ، انظر : صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ، ص ٨٤ . والاختلاف في تصحيح الحديث لايمنع من الاحتجاج به ؛ لصحة معناه ، ولوجود أحاديث أخرى صحيحة تشهد له كما سيتبين من البحث إن شاء الله تعالى . وقد عدَّ السعدي رحمه الله تعالى هذا الحديثَ من جوامع الأخبار وشرحه مع أحاديث أخرى في كتاب بهجة قلوب الأبرار ، ص ٣٦-٣٨ .

أصحاب المنزلة حينما قال ﷺ : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)[1] .

٢- الداعية ركن من أركان الدعوة إلى الله تعالى[2] ، وهو بمثابة الطبيب الذي يسعى لعلاج أمراض الناس في الأبدان ، وفرق مابينهما أن سعي الداعية إنما هو لعلاج أمراض الناس في العقائد والأخلاق والمعاملات ؛ ولذا فالعناية بإعداد الداعية أمر مهم في نجاح الدعوة لتؤتي ثمارها الطيبة في المجتمعات البشرية ، وكما أن الطبيب يحتاج إلى تعليم وتدريب فكذلك الداعية . ومن أهم الأمور في تعليم الدعاة وتدريبهم : تربيتهم على الصفات الكريمة ، والآداب الحميدة ، ومنها (إنزال الناس منازلهم) .

٣- ضعف تطبيق هذا الخلق (إنزال الناس منازلهم) في حياة المسلمين المعاصرة ، ومن مظاهر هذا الضعف التي تبدو لكل متابع لأحوال المجتمعات الإسلامية :

أ- قلة توقير فئام من أفراد المجتمع لولاة الأمر والعلماء وكبار السن والوجهاء ، ومن ذلك : ضعف احترام الطلاب لمعلِّميهم في المدارس والجامعات ، وقد يصل الأمر في بعض الحالات إلى الاعتداء عليهم لفظياً وجسدياً .

ب- المشكلات الأسرية ومنها : عقوق الوالدين الناجم عن عدم إنزالهما منزلتَهما من قِبل الأبناء . والخلافات الزوجية التي قد تصل إلى الطلاق ، وهي مشكلات ترجع في معظمها إلى عدم إنزال كل من الزوجين للآخر منزلتَه الواجبه شرعاً .

إن ضعف تطبيق هذا الخلق قد يصل أحياناً إلى أن يتخذ بعضُ الأفراد أصحابَ المنزلة غرضاً للسخرية والاستهزاء ، وبخاصة مع هذا الانتشار للشبكة العالمية (الإنترنت) ووسائل التواصل الاجتماعي حيث تضعف الرقابة ، فأصبح بعض مستخدميها يجترئون على ذوي المنزلة بتصوير المقاطع التي تحطُّ من قدرهم وتقلل من شأنهم . وأثَّر ذلك كثيراً في الترويج للتوجُّهات المنحرفة التي أصبحت تتخطف أبناء المسلمين إلى التفريط في أحكام الدين أو الغلو فيها .

ثانياً : مصطلحات البحث ومشكلته

الإنزال في اللغة : مصدر من الفعل أَنْزَلَ ، والثلاثي منه نَزَلَ . جاء في المعجم الوسيط :

(نَزَلَ) نزولاً : هبط من عُلْو إلى سُفْل . ويقال : نَزَلَ فلان عن الأمر والحق : تركه ، ونَزَلَ بالمكان وفيه : حَلَّ ، ونَزَلَ على القوم : حَلَّ ضيفاً ، ونَزَلَ به مكروه : أصابه ، ونَزَلَ الحاج : أتوا

(١) سنن ابن ماجة ، ٤ /٦٦٠ برقم ٣٧١٢ ، وحسَّن المحققون الحديث . وحسَّنه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجة ، ٣ /٢٢٤ .

(٢) أركان الدعوة ثلاثة : الداعية والمدعو وموضوع الدعوة وهو الإسلام الذي يدعو إليه الداعية . انظر المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني ، ص ١٥٢ .

مِنَى ، ونَزَلَ على إرادة زميله : وافقه في الرأي ، ونَزَلَ فلان نِزَالة : سافر .

(أَنْزَلَ) الشيء جعله ينزل . ويقال : أَنْزَلَ الله كلامه على أنبيائه : أوحى به ، وأَنْزَلَ حاجته على كريم : جعله موضع أمله ورجائه ، وأَنْزَلَ الضيف : أحَلَّه وهيَّأ له نُزُلَهُ .

والمَنَازِل جمع (مَنْزِلَة) وهي : الدار والمكانة والمَرتبة ، يقال له مَنْزِلَة عند الأمير أي مكانة ، وهو رفيع المَنَازِل أي : المراتب .[1]

وإنزال الناس منازلهم : التعامل مع كل إنسان بما يليق به ، والقيام بحقوقه المعروفة شرعاً وعُرْفاً[2] ، دونما إفراط أو تفريط . وهو خلُق من أهم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية .

وتطبيقات إنزال الناس منازلهم هي : كيفية تطبيق هذا الخلُق .

وضوابط إنزال الناس منازلهم هي : الحدود الشرعية التي يجب على أفراد المجتمع الوقوف عندها ، والملاحظات التي يجب أن يراعوها ، حينما يُنزلون أصحاب المنزلة منازلهم ؛ لئلا يتجاوزوا الحد المشروع في هذا الإنزال فيقعوا في الغلو .

والواجب على صاحب المنزلة هو : ما ينبغي أن يفعله الشخص صاحب المنزلة .

ويمكن تحديد مشكلة البحث في التساؤلات الآتية : كيف يتم إنزال الناس منازلهم ؟ ما ضوابط إنزال الناس منازلهم ؟ ما الواجب على صاحب المنزلة ؟

ثالثاً : الدراسات السابقة

استخدم الباحث خاصية البحث في المكتبة الشاملة ، وفي شبكة المعلومات العالمية من خلال الموقع الشهير جوجل باستخدام مصطلح (إنزال الناس منازلهم) ، وراجع عدداً من قوائم الرسائل العلمية في مواقع الجامعات ، وبحث في المواقع المتخصصة في الكتب الإلكترونية المصورة مثل جامع الكتب المصورة[3] .كما طالع الباحث عدداً من الكتب التي تخصصت في الحديث عن صفات الدعاة إلى الله تعالى[4] .

وقد تبين للباحث من خلال عمليات البحث المشار إليها وجود : عدة شروح لحديث (أنزلوا

---

(١) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين ، ٩١٥/٢ .

(٢) اقتبس الباحث هذا الجزء من التعريف من : بهجة قلوب الأبرار للسعدي ، ص ٣٦ .

(٣) (kt-b.com) .

(٤) طالع الباحث الكتب التالية : المصفى من صفات الدعاة لعبدالحميد البلالي ، ومقومات الداعية الناجح للدكتور علي بادحدح ، وصفات الداعية للدكتور حمد العمار ، وصفات الداعية الناجح لصالح العليوي ، ومقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد القحطاني . وقد أشار الأخير إلى إنزال الناس منازلهم في ثلاث صفحات من ١٠٤ إلى ١٠٦ . وكرَّر ذات الأفكار في كتابيه الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، والخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة .

الناس منازلهم) ومقالات تتصل به ، ومجموعة من النقاشات حول درجة هذا الحديث .

كما أظهرت نتائج البحث وجود بحث بعنوان (أنزلوا الناس منازلهم) للباحث حامد شاكر العاني[1] وهو يقع في إحدى وستين صفحة ، وقد استغرقت مقدمة البحث وترجمة المؤلف وفهرس المصادر والمواضيع أربع عشرة صفحة ، واشتمل البحث على ثلاثة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول (١٦ صفحة) : تصنيف الناس إلى ثلاث مراتب بحسب علمهم : العلماء وأهل الفضل ، وطلبة العلم والعلماء ، والجهلة والمتخلفون .

والمطلب الثاني (٢٣ صفحة) : الميزان الذي تزن به الناس ، وذكر ثلاثة من الموازين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال العلماء . وأفرد صفحات للحديث عن سيرة عمر بن عبدالعزيز في إنزال العلماء منازلهم وسرد قائمة بأسماء بعض العلماء الذين ولَّاهم في مناصب الدولة . وختم هذا المطلب بالحديث عن ثلاثة أصناف من الناس ينبغي على المسلم الحذر منها وهي : الكفار والمشركون وأصحاب البدع والأهواء ، والمراؤون والكذابون وأهل النفاق ، والمغرورون وأهل المجون والفسق والفواحش والمعاصي .

والمطلب الثالث (٨ صفحات) : الدمار والخراب في عدم إنزال الناس منازلهم وذكر نماذج مما تعرض له بعض الأنبياء من التكذيب والإعراض ، وختم هذا المطلب بالحديث عن الكوارث في العالمين العربي والإسلامي بسبب عدم إنزال الناس منازلهم واستشهد بأقوال لبعض المستشرقين في فضل المسلمين على الحضارة الغربية المعاصرة .

وقد ركز صاحب البحث على أهمية إنزال الأنبياء والعلماء وطلبة العلم منازلهم مع ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال العلماء . وهؤلاء هم بعض أصحاب المنزلة في الأمة الإسلامية . وخلا البحث المشار إليه من تعريف إنزال الناس منازلهم .

ولم يقف الباحث فيما تقدم من الدراسات السابقة على علاج لمشكلة بحثه على النحو الذي ذَكَرَه ، وهذا لايقلل من شأن تلك الدراسات ، فسينتفع منها الباحث إن شاء الله تعالى ويضيف إليها .

رابعاً : منهج البحث

أ- اشتمل البحث على المباحث التالية :

المبحث الأول : تطبيقات إنزال الناس منازلهم .

---

(١) يمكن تنزيل هذا البحث من موقع الألوكة (www.alukah.net/library/0/76439) ، وقد نشر مؤلف البحث بعض محتوياته على هيئة مقالات متفرقة في ذات الموقع .

المبحث الثاني : ضوابط إنزال الناس منازلهم .

المبحث الثالث : الواجب على صاحب المنزلة .

ب- استنبط الباحث مفردات هذه المباحث الثلاثة من استقراء النصوص الخاصة بها من كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وسير السلف الصالح ، وعلماء الأمة ، مع ربط هذه المفردات بالدعوة في العصر الحالي ، وختم الباحث دراسته ببيان أهم النتائج التي توصل إليها ، والتوصيات التي يراها في ضوء هذه النتائج .

ج- لم يترجم الباحث لجميع الأعلام الذين ذكرهم في بحثه ، واكتفى بترجمة من يتطلب المقام الترجمة له .

د- سلك الباحث النهج التالي في تخريج الأحاديث والآثار :

١- تخريج الحديث أو الأثر من الصحيحين إذا كان متفقاً عليه ، أو من أحدهما إذا انفرد به البخاري أو مسلم ؛ وذلك لتلقي الأمة لهما بالقبول . وإذا لم يرد الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما ، فيتم تخريجه من السنن الأربعة فإن لم يوجد في أحدها فمن دواوين السنة الأخرى أو كتب السيرة النبوية ، مع الإشارة إلى حكم العلماء على درجة الحديث ، وقد استفاد الباحث في هذا الصدد من كتب السيرة النبوية التي اقتصرت على الصحيح من الأحاديث والآثار .

٢- تخريج الحديث أو الأثر من موضع واحد في الكتاب الواحد لأن استقصاء مواضع التخريج ليس من مهام هذا البحث . وذكر المرجع الذي خرَّج الحديث أو الأثر متبوعاً برقم الجزء ثم الصفحة ثم رقم الحديث أو الأثر .

٣- استفاد الباحث معاني الألفاظ الغريبة من تعليقات المحقِّقين للكتب التي خرَّجت الأحاديث والآثار ، وعند الرجوع إلى كتب أخرى لبيان تلك المعاني فتتم الإشارة إليها .

٤- الاستشهاد بالصحيح والحسن من الأحاديث والآثار ، وترك الضعيف منها وإن كانت تشهد لموضوع البحث .

المبحث الأول
تطبيقات إنزال الناس منازلهم

يمكن من خلال استقراء النصوص الشرعية الخروج بجملة من التطبيقات العملية لإنزال الناس منازلهم ، وهي بحسب مااستخلصه الباحث مما وقف عليه من تلك النصوص :

١- الحرص على دعوةِ أصحاب المنزلة إلى الإسلام والاستفادةِ منهم إن لم يسلموا .
٢- تأليف قلوب أصحاب المنزلة .
٣- توقير أصحاب المنزلة .
٤- إكرام أقارب ذوي المنزلة .
٥- توظيف طاقات المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى كلٌ بحسبه .
٦- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإن لم يكونوا مسلمين .
٧- المغايرة في التعامل مع الكافرين بحسب مواقفهم من المسلمين .
٨- إكرام المسلم الجديد .
٩- الصفح عن أصحاب المنزلة من ذوي السوابق الحسنة إذا أخطؤوا .

وفيما يلي تفصيل هذه التطبيقات :

١- الحرص على دعوةِ أصحاب المنزلة إلى الإسلام والاستفادةِ منهم إن لم يسلموا

إن الداعية المخلص يحرص على هداية الناس جميعاً ، ويتأكد هذا الحرص في حق أصحاب المنزلة ؛ لأن إسلامهم أو استقامتهم على دين الله مكسب عظيم للدعوة لما لهم من تأثير في مجتمعاتهم ، وبإسلامهم يتَّبعهم من وراءهم ، ويكون إسلامهم قوة للدين والدعوة وحماية لهما . وقد حرص النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم على إسلام بعض هؤلاء ومن ذلك :

أ- حرص النبي ﷺ على إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي جهل

دعا رسول الله ﷺ أن يعز اللهُ الإسلام بأحدهما فقال : (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)[1] .

---

(١) سنن الترمذي ، ٥ /٦١٧ برقم ٣٦٨١ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٥٠٨/٣ برقم ٣٦٨١ .

ب- حرص النبي ﷺ على إسلام عدي بن حاتم الطائي[1] رضي الله عنه

كان عدي رضي الله عنه نصرانياً وسيداً في قومه ، وحرص النبي ﷺ على إسلامه فقال : (إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي) ، وقد بلغت هذه الكلمة عدياً قبل إسلامه ، ثم قدم إلى المدينة المنورة ودخل على النبي بغير أمان ولاكتاب ، فوضع النبي يده في يده رضي الله عنه ، واجتمع معه في بيته ﷺ . وفي هذا من الإكرام له وترغيبه في الإسلام مالايخفى . ولما أخبر عدي النبي ﷺ بأنه جاء مسلماً تهلل وجهه فرحاً بإسلامه ، وأنزله ضيفاً عند أحد الأنصار ، وكان يتردد على مجلس النبي ﷺ .[2]

ج- حرص النبي ﷺ على إسلام مالك بن عوف النصري رضي الله عنه

كان مالك قائد المشركين من قبيلة هوازن في غزوة حنين ، وفرَّ إلى الطائف بعد هزيمة قومه في المعركة ، فسأل النبي ﷺ عنه ، فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال : (أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل) ، فلما بلغته مقالة رسول الله ﷺ خرج ليلاً من الطائف ، ولحق برسول الله ﷺ وأسلم فحسن إسلامه .[3]

وماقاله النبي ﷺ عن عمر بن الخطاب وعدي بن حاتم ومالك بن عوف رضي الله عنهم وعن أبي جهل وعن غيرهم ، فيه تشجيع لهم على اعتناق الإسلام حينما تبلغهم هذه المقولات التي فيها حرص النبي ﷺ على إسلامهم .

د- حرص مصعب بن عمير وأسعد بن زاراه على إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهم

حينما دخل مصعب بن عمير المدينة داعياً إلى الله ونزل في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنهما ، وعلم بهما أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وهما سيدا قومهما من بني عبد الأشهل[4] ، غضِبا ، وأرسل سعد أسيداً إليهما ليكفا عن نشر الإسلام ، وحينما أقبل أسيد مغضباً حاملاً

---

(١) الأمير الشريف ، أبوه حاتم الطائي الكريم الذي يضرب بجوده المثل في الجاهلية ، وفد عدي على النبي ﷺ سنة سبع ، فأكرمه واحترمه ، واستعمله في صدقات أسد وطيّئ . شارك في الفتوحات الإسلامية زمن الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، وثبت مع قومه على الإسلام حينما ارتد من ارتد من قبائل العرب بعد وفاة النبي ﷺ ، وجاء لأبي بكر رضي الله عنه بصدقات قومه . وشهد مع علي رضي الله عنه صفين والجمل والنهروان . توفي سنة ٦٦هـ وقيل ٦٨هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ، ١٦٢/٣ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ٥٤٦/١ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ٦٦/٤٠ .

(٢) سنن الترمذي ، ٢٠٢/٥ برقم ٢٩٥٣ ، وقال الترمذي عنه : حسن غريب . وحسَّنه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ١٨٢/٣ برقم ٢٩٥٣ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٣٣/٤ . وانظر : صحيح الأثر للدكتور السلمي وآخرين ص ٢٦٦ ، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري ، ٥١٧/٢ .

(٤) بنو عبد الأشهل بطن من بطون الأوس من الأنصار ، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٣٣٩ .

حرْبَته ، قال أسعد لمصعب : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه . فوقف أسيد مهدداً لهما ، فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فركز حربته في الأرض وجلس ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فأعجبه فأسلم ، وقال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ . فرجع إلى سعد ولم يخبره بأنه أسلم وإنما حدثه بحديث جعله يذهب إليهما ، فأخذ الحربة من أسيد ، وأقبل عليهما مغضَباً ، فقال أسعد لمصعب : أي مصعب ، جاءك والله سيدُ مَن وراءَه مِن قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . فقال مصعب لسعد مثل مقولته لأسيد ، فركز الحربة في الأرض وجلس ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فأسلم .[١]

ويظهر من القصة حرص أسعد ومصعب على إسلام أسيد وسعد رضي الله عنهم أجمعين .

هـ- حرص الأنصار على إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهم

جاء في قصة بيعة العقبة الثانية أن الأنصار رضي الله عنهم قدموا في موسم الحج ، ومعهم قومهم من المشركين من أهل المدينة ، وهم لايعلمون بما خطط له الأنصار من أمر البيعة والالتقاء بالنبي ﷺ سراً ، ولكنهم خصُّوا سيداً من ساداتهم المشركين وهو عبدالله بن عمرو بن حرام بخبر هذه البيعة ، وقالوا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه : أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعوه إلى الإسلام ، وأخبروه بميعاد رسول الله ﷺ فأسلم ، وشهد معهم العقبة ، وكان نقيباً من النقباء الإثني عشر رضي الله عنهم أجمعين .[٢]

ومن صور الحرص على هداية أصحاب المنزلة في العصر الحاضر :

أ- ما كان يفعله الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي[٣] رحمه الله من الاهتمام بدعوة زعماء القبائل والأعيان ، حيث يأتي إلى رئيس القبيلة ويقول : بلغنا عنك كذا كذا من الأمور الطيبة ، ونريدك أن تكون مراقباً للمدارس ، أو مؤذناً أو نحو ذلك وبذا يكسب قلوبهم ، وينقلهم من أعداء للدعوة إلى مؤيدين لها . بل إنه تزوج مرة من ابنة رئيس لإحدى القرى ، حينما أغرى فقيهُ القرية سفهاءها بالشيخ ، فمنعوه من دخولها ، وكان من نتيجة هذه المصاهرة انتشار الدعوة في القرية .[٤]

---

(١) انظر القصة بطولها في : السيرة النبوية لابن هشام ، ٧٩/٢ . وانظر صحيح السيرة النبوية للعلي ، ص ١٠٧ ، والموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٣٨٧ .

(٢) انظر القصة بطولها في : مسند أحمد بن حنبل ، ٢٥ /٨٩ برقم ١٥٧٩٨ ، وحسَّن المحقِّقون إسناد الحديث .

(٣) ولد سنة ١٣١٥هـ في مدينة عنيزة ، نشأ يتيماً في كنف أمه وتحت رعاية عمه ، وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ، وكان رائد الدعوة السلفية في جنوب المملكة ، واهتم بنشر العلم الشرعي وفتح المدارس في هذه المنطقة ، وتوفي سنة ١٣٨٩هـ . انظر ترجمته في المسيرة لمجدد جنوب الجزيرة لبندر بن فهد الايداء .

(٤) المسيرة لمجدد جنوب الجزيرة لبندر بن فهد الايداء ، ص ١٨٠-١٨١ .

ب- اهتمام د.عبدالرحمن بن حمود السميط[1] رحمه الله تعالى بدعوة زعماء القبائل الأفريقية إلى الإسلام ؛ وذلك لما لزعيم القبيلة في أفريقيا من منزلة في نفوس أفراد قبيلته ليست لأحد ولا حتى لرئيس الدولة أو وزير فيها ، حيث تُسلم القبيلة بإسلام زعيمها . وكان من مشاريعه الدعوية رحمه الله تعالى : مشروع حج زعماء القبائل الأفريقية المسلمين ، وبعض هؤلاء الزعماء ربما لم يغادر قريته حتى إلى عاصمة دولته ، وقد تحققت بحجِّهم مصالح كثيرة منها : أداء الفريضة التي أوجبها الله عليهم ، وتعريفهم بإخوانهم المسلمين في أنحاء العالم ، واطلاعهم على واقع الديار المقدسة وماتعيشه من نهضة عمرانية وحضارية ، ثم نَقلُ ذلك كله إلى أفراد قبائلهم .

ومن أشهر هؤلاء الزعماء : ياتيس كورال - وتسمَّى بعبدالعزيز فيما بعد - وهو زعيم قبائل في جنوب تشاد ، كان نصرانياً متعصباً ، وكان يرى بعض العرب في تشاد وعناية المسلمين بهم ، فأحب أن يتعلم شيئاً عن الإسلام ، فلما علمت الكنيسة بذلك منعته من بئرين من الآبار فغضب ، وطلب أن يلتقي بأحد الدعاة المسلمين التابعين لجمعية العون المباشر ، ولما بلغ د.عبدَالرحمن السميطَ ذلك ، حَرِص على أن يلتقيه بنفسه ، فأبدى رغبته في الدخول في الإسلام بشرط أن يبنوا له مسجداً في منطقته ، فطلب د.السميط من إحدى المحسنات الكويتيات كبيرات السن التبرع لبناء هذا المسجد ففعلت ، وأصر هذا الرجل على أن يعلن إسلامه بين يدي تلك المرأة ، وكان في هذا صعوبة ، فطلب د.عبدالرحمن السميط من أمير الكويت السابق مقابلته ، فوافق رحمه الله تعالى واستقبله في قصره ، وأعلن إسلامه بين يديه ، ثم حج هذا الرجل على نفقة الأمير ، ولما رجع من الحج أقيم له احتفال لمدة أسبوع في قريته ، وكان يستقبل الكثير من أهالي المنطقة يحدثهم عن الكويت وأميرها ، وعما رآه في رحلة الحج ، فأسلم على يده في أول سنة ٦٠٠٠٠ شخص ، وأصبح من أفضل الدعاة في جنوب تشاد .[2]

إن جهود الداعية في إدخال أصحاب المنزلة الكافرين في الإسلام قد لاتنجح ، ولكن قد تنجح جهوده في الاستفادة من بعضهم في خدمة الدعوة ، وهذا البعض هم أصحاب المنزلة الذين لايؤذون المسلمين ، بل ربما ناصروهم ووقفوا في صفهم ضد الكافرين المحاربين . وقد استفاد النبي ﷺ من جاه عمه أبي طالب في مكة قبل وفاته ، وحينما أراد دخول مكة بعد مرجعه من الطائف

---

(١) طبيب كويتي ولد عام ١٣٦٦هـ ، تخرَّج في كلية الطب بجامعة بغداد وواصل دراسته العليا في كندا وبريطانيا ، وبدأ أعماله الدعوية في أفريقيا ببناء مسجد في ملاوي عام ١٩٨٢م ، وتفرغ بعد ذلك للعمل الخيري وأسس جمعية خيرية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية عرفت في آخر مراحلها باسم جمعية العون المباشر . وحصل على عدد من الجوائز العالمية ومن بينها جائزة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله لخدمة الإسلام والمسلمين عام ١٤١٦هـ . وتوفي عام ١٤٣٤هـ . انظر ترجمته في موقع الجمعية (direct-aid.org) .

(٢) انظر الحلقة السابعة من حلقات عبدالرحمن الفاتح ، التي أعدها د.عبدالعزيز العويد ، وفيها قصص بعض زعماء القبائل الأفريقية ، الذين أسلموا وأصبحوا دعاة إلى الله تعالى في قبائلهم ، والحلقات متوفرة في موقع جمعية العون المباشر وفي مواقع أخرى في الشبكة العالمية يمكن الوصول إليها عبر أداة البحث الشهيرة جوجل .

بحث عن أحد وجهاء مكة ليجيرَه . فأرسل إلى اثنين من سادات قريش المشركين فاعتذرا عن إجارته ، ثم أرسل إلى المطعم بن عدي فوافق ، ودخل رسول ﷺ في جواره وهو مشرك .[١]

إن الاستفادة من أصحاب المنزلة الكافرين غير المحاربين تتأكد في هذه الأزمنة التي تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، واضطهدوا في بعض الأماكن التي يعيشون فيها أقلياتٍ خارج الدول الإسلامية ، وهذا أمر لايخفى على كل متابع لوسائل الإعلام ، وقد يوجد في بعض هذه المجتمعات شخصيات أو مؤسسات منصِفَة فعلى المسلمين الانتفاع منها .

وعلى الدعاة في كل مجتمع البحث عن أنصار دعوتهم ، والاستفادة منهم وإن كانوا يخالفونهم في الدين ، أو على الأقل تحييدهم في الصراع الذي يدور بينهم وبين محارِبيهم . وعلى سبيل المثال ففي الصراع الدائر بين المسلمين واليهود ظهرت منظمة يهودية تعارِض دولة إسرائيل ، وهي منظمة حراس المدينة[٢] ، وهي جماعة يهودية متديِّنة متعاطفة مع الفلسطينيين ، ويظهر أعضاؤها في مظاهراتهم مرتدين الوشاح الفلسطيني .[٣]

ويتعرض المسلمون في ميانمار حالياً إلى حملة اضطهاد شرسه من حكومتها البوذية ، ويقف عدد من المنظمات الحقوقية إلى جانب المسلمين في هذه الحملة ، بل أدان ناشط بوذي جرائم حكومة ميانمار ضد المسلمين [٤] .

٢- تأليف قلوب أصحاب المنزلة

كان النبي ﷺ يتألف قلوب أصحاب المنزلة بأمور منها : بيان فضائلهم ، وإعطاؤهم المال ، وتخصيصهم بأمور تعلِي من قَدرهم ، وقبول هداياهم ، وفيما يلي بيان ذلك :

أ- التأليف ببيان الفضائل

روى المحدِّثون أحاديث كثيرة في بيان فضائل سكان بعض الأقاليم ، وفضائل بعض القبائل .[٥] وينبغي على الداعية إذا خاطب هؤلاء الذين أثنى عليهم النبي ﷺ أن يتألف قلوبهم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ٢/٢٠ . وانظر : صحيح الأثر وجميل العبر للدكتور السلمي وآخرين ، ص ١٣٤ ، والموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٣٨٤ .

(٢) منظمة ناطوري كارتا ، منظمة يهودية دولية ، وهي من أكثر الجماعات اليهودية عداءً للدولة الصهيونية ، ويرفض أعضاؤها دولة إسرائيل وكل مؤسساتها ، بل يرفضون زيارة حائط المبكى لأن القدس تم فتحها بالقوة . وبلغ الأمر ببعض أعضائها أن أعلنوا صراحة رغبتهم في العيش تحت الحكم الأردني . ويبلغ عدد أعضاء الجمعية حوالي ٦٠ ألفاً ، وأكبر تَجمُّع لهم في نيويورك . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور المسيري ، ٦/٤١٥-٤١٨ .

(٣) انظر الموقع الرسمي للمنظمة (www.nkusa.org) .

(٤) انظر الخبر الذي نشره موقع المسلم بعنوان ناشط بوذي يدين جرائم حكومة ميانمار ضد المسلمين ، ١٩ ذو الحجة ١٤٣٩هـ ، الرابط (www.almoslim.net/news/290176) .

(٥) انظر على سبيل المثال مارواه مسلم في فضائل أهل : مصر ، وفارس ، وعُمان ، ٤/١٩٧٠-١٩٧٣. وكذلك مارواه في فضائل : الأنصار ، وغفار ، وأسلم ، وجهينة ، وأشجع ، ومزينة ، وتميم ، ودوس ، وطيِّئ ، ٤/١٩٤٨-١٩٥٧.

بذكر ماصحَّ عن النبي ﷺ في مدحهم ، وينبه الباحث هنا إلى ضرورة رجوع الداعية إلى كلام شُرَّاح الحديث النبوي في بيان معاني هذه الأحاديث وفقهها ؛ ليستشهد بها على بيِّنة وبصيرة .

ب- التأليف بالمال

فرض الله سبحانه وتعالى سهماً في الزكاة للمؤلفة قلوبهم فقال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)[١] . والمؤلف قلبه : هو السيد المطاع في قومه ، ممن يرجى إسلامه ، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه ، أو إسلام نظيره ، أو جبايتها - أي جباية الزكاة - ممن لا يعطيها ، فيُعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة .[٢]

وقد أعطى النبي ﷺ بعض المؤلفة قلوبهم من الغنائم ،كما في غزوة حنين حيث كان يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل .[٣]

ج- التأليف بأمور تعلِي القَدر

ومن ذلك قوله ﷺ يوم فتح مكة : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) وسبب ذلك أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا .[٤]

د- التأليف بقبول الهدية

عقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باباً بعنوان (قبول الهدية من المشركين) ، وساق فيه أحاديث تثبت أن النبي ﷺ قبل هدايا بعض أصحاب المنزلة المشركين[٥] .

هـ- التأليف بالمداراة

المداراة درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة ، أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له . كالرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتِيج إلى تأليفه .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ، ص ٣٤١ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١١٤٧/٣ برقم ٢٩٧٨ ، صحيح مسلم ، ٧٣٣/٢ برقم ١٠٥٩ .

(٤) سنن أبي داود ، ٦٣٤/٤ برقم ٣٠٢٢ ، وصحَّح المحققان الحديث لغيره . وحسَّنه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود ، ٢٥٧/٢ برقم ٣٠٢٢ .

(٥) صحيح البخاري ، ٩٢٢/٢-٩٢٣ ، وفي هذه الأحاديث أنه قبل هدايا من : ملك أيلة ، وأكيدر دومة .

وقد استأذن رجل[1] على النبي ﷺ فقال : (ائذنوا له ، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة) فلما دخل ألان له الكلام ، فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، قلت الذي قلت ، ثم ألنت له الكلام ؟ فقال : (أي عائشة ، إن شر الناس من تركه الناس أو وَدَعَه الناس اتقاء فحشه)[2] . وفي لفظ آخر : فلما جلس تطلَّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه .[3]

فالنبي ﷺ دارَى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر ؛ لأجل المصلحة الدينية ، فدل على أن مداراة أمثال هذا الرجل لا تتنافى مع الولاء والبراء إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه . ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفاً لهم ولغيرهم . وهذه المداراة تختلف عن المداهنة التي هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين . ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه . فالمداهنة لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا .[4]

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : والفرق بين المداراة والمداهنة : أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين ، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال ، والمداهنة المذمومة المحرمة هي بذل الدين لصالح الدنيا ، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسنَ عشرته والرفقَ في مكالمته وطلاقةَ وجهه، ولم يمدحه بقول ، ولاروعي في ذلك في حديث .[5]

٣- توقير أصحاب المنزلة

حث النبي ﷺ على توقير كبار السن ، والعلماء ، والصالحين من حمَلة القرآن ، والمقسطين من أصحاب السلطان ، بقوله ﷺ : (ليس منا من لم يُجِلْ كبيرنا ويرحمْ صغيرنا ويعرفْ لعالمنا

---

(١) عيينة بن حصن الفزاري ، ولم يكن أسلم حينئذ ، وإن كان قد أظهر الإسلام فمراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولايغتر به من لم يعرف حاله ، وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه ، والله أعلم بما خُتم له . وكان عيينة سيداً في قومه فزارة من بني تميم ، وكان يقال له الأحمق المُطاع أي في قومه لأنه كان يتبعه منهم عشرة آلاف مقاتل لايسألونه أين يريد . انظر ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ، ٣١٨/٤ برقم ٤١٦٦ ، وانظر شرح موطأ مالك للزرقاني ، ٩٤/٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ١٤٤/١٦ ، وإكمال المعلم للقاضي عياض ، ٦٢/٨-٦٣ .

(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخاري ، صحيح البخاري ، ٢٢٥٠/٥ برقم ٥٧٠٧ ، صحيح مسلم ، ٢٠٠٢/٤ برقم ٢٥٩١ .
عشيرة الرجل : جماعته وقومه .

(٣) صحيح البخاري ، ٢٢٤٤/٥ برقم ٥٦٨٥ .

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ، ص ٢٦٦-٢٦٧ (بتصرف) .

(٥) المفهم للقرطبي ، ٥٧٢/٦-٥٧٣ .

حقه)[1] . وقوله ﷺ : (إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرامَ ذي السلطان المُقسِط)[2] .

وذو الشيبة : الشيخ الكبير . وحامل القرآن غير الغالي فيه : غير المتجاوز الحد في العمل به ، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه ، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه . وغير الجافي : غير المتباعد عنه المعرِض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه . [3]

وجاء تفسير المقسطين في حديث آخر بأنهم : (الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا)[4] ، فذو السلطان المقسط قد يكون : شيخ قبيلة أو عمدة حيٍّ يعدل بين من هم تحت ولايته ولايحابي أحداً منهم لقرابة أو مصلحة دنيوية ، وقد يكون معلماً يعدل بين طلابه في قسمة الدرجات فيعطيهم حقهم منها ، أو قاضياً يعدل بين الخصوم في مجلس قضائه ، أو مديراً يعدل بين موظفيه في إدارته ، أو قائداً عسكرياً يعدل بين أفراد فرقته ، أو موظفاً يعدل بين مراجعيه في قضاء حوائجهم .

ومن توقير أصحاب المنزلة : ماكان يفعله المحدِّثون رحمهم الله تعالى حينما يروُون فضائل الصحابة رضي الله عنهم في كتب المناقب أو الفضائل ، حيث كانوا يراعون منازلهم ، فيبدؤون بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم[5] ، وبدأ أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى مسنده بالأحاديث المروية عن الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ، وابتدأها بأحاديث الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم بنفس الترتيب الذي سبقت الإشارة إليه[6] .

ومن توقير أصحاب المنزلة : مراعاة آداب اللقاء والمجالس مع أصحاب المنزلة ومن هذه الآداب :

أ- تقبيل اليد والرأس

يجوز تقبيل يد العالم الورع والسلطان العادل ، وتقبيل يد الوالدين ، والأستاذ ، وكل من يستحق التعظيم والإكرام ، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين ، ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام ، أو الشفقة ، عند اللقاء والوداع ، وتديناً واحتراماً مع أمن الشهوة . [7]

(١) الجامع الصغير للسيوطي ، وحسَّنه الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ٩٥٧/٢ برقم ٥٤٤٣ .
(٢) سنن أبي داود ، ٢١٢/٧ برقم ٤٨٤٣ ، وحسَّن المحققان إسناد الحديث . وحسَّنه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود ، ١٨٩/٣برقم ٤٨٤٣ .
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ، ١٣١/١٣ .
(٤) صحيح مسلم ، ١٤٥٨/٣ برقم ١٨٢٧ ، وماوَلُوا : أي ماكانت لهم عليه ولاية .
(٥) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ١٣٣٣/٣-١٤٣٥ ، وصحيح مسلم ، ١٨٥٤/٤-١٩٧٣ ، وسنن الترمذي ٦٠٦/٥-٦٤٣ ، وسنن ابن ماجة ، ٧٠/١-٨٨ ، والسنن الكبرى للنسائي ، ٢٩٣/٧-٣١٣ .
(٦) مسند أحمد بن حنبل ، الأجزاء الثلاثة الأولى .
(٧) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ١٣١/١٣ .

ب- القيام للداخل

اختلف العلماء في حكم قيام الجالسين للداخل إلى المجلس ، ولهم في ذلك تفصيلات لايتسع هذا البحث لمناقشتها[١] ، وأفتى الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى أنه يجوز أن يقوم الجالس مقابلاً للقادم ؛ ليصافحه ، أو يأخذ بيده ليضعه في مكان ، أو ليجلسه في مكانه ، أو ما أشبه ذلك ، فهذا لا بأس به ، بل هو من السنة ؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ قال للأنصار (قوموا إلى سيدكم) لما قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه ليحكم في بني قريظة[٢] . وثبت أنه كان ﷺ إذا دخلت عليه ابنته فاطمة قام إليها فأخذ بيدها ، وقبَّلها ، وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ، فأخذت بيده فقبَّلته ، وأجلسته في مجلسها .[٣] وقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من بين يدي النبي ﷺ لما جاء كعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه فصافحه وهنَّأه[٤] ، وهذا من باب مكارم الأخلاق والأمر فيه واسع[٥] .

ج- الإفساح في المجلس

أمر الله تعالى بالتفسح في المجالس فقال : (ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم)[٦] . وأمر النبي ﷺ بذلك فقال : (لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مقعده ، ثم يجلس فيه ، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا)[٧] . وأولى الناس بأن يُفسح لهم في المجالس ذوو المنزلة ، ويشهد لذلك أن شيخاً جاء يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال ﷺ : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)[٨] .

وقال عدي بن حاتم رضي الله عنه : ما دخلت على النبي ﷺ قط إلا توسع لي . فجئت يوما وهو في بيت مملوء من أصحابه ، فلما رآني توسع لي حتى جلست إلى جانبه.[٩]

د- تقديم كبير السن

دلَّت نصوص الكتاب والسنة على تقديم كبير السن ومن ذلك : أن النبي ﷺ رأى في المنام

(١) انظر على سبيل المثال ماذكره ابن مفلح رحمه الله تعالى في الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ١/٤٣١-٤٤٢ .
(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٤/١٥١١ برقم ٣٨٩٥ ، صحيح مسلم ، ٣/١٣٨٨ برقم ١٧٦٨ .
(٣) سنن أبي داود ، ٧/٥٠٦ برقم ٥٢١٧ ، وصحَّح المحقق إسناده ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٣/٢٨٣ .
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٤/١٦٠٣ برقم ٤١٥٦ ، صحيح مسلم ، ٤/٢١٢٠ برقم ٢٧٦٩ .
(٥) انظر فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في موقعه (www.binbaz.org.sa) وقد قسم القيام إلى ثلاثة أنواع : جائز ومكروه ومحرم . وانظر كلام ابن تيمية في هذه المسألة في مجموع فتاويه ١/٣٧٤-٣٧٦ .
(٦) سورة المجادلة ، الآية ١١ .
(٧) متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، صحيح البخاري ، ٥/٢٣١٣ برقم ٥٩١٤ ، صحيح مسلم ، ٤/١٧١٤ برقم ٢١٧٧ .
(٨) سنن الترمذي ، ٤/٣٢١ ، برقم ١٩١٩ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث غريب . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٢/٣٤٨ برقم ١٩١٩ .
(٩) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ، ١١/٢٧٢ برقم ٨٥٣٢ ، وحسَّن المحقق إسناده .

أنه يتسوَّك بسواك ، فجاءه رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناول السواكَ الأصغرَ ، فقيل له : كبِّر ، فدفعه إلى الأكبر منهما[١] .

وحينما حضر أخوان بين يدي النبي ﷺ ، وهمَّ الأصغر منهما أن يبدأ الحديث نهاه النبي عن ذلك بقوله : (كَبِّر كَبِّر)[٢] ، فتكلم الأكبر ثم الأصغر .

هـ- ترك الإنسان اجتهاده تقديراً لاجتهاد صاحب المنزلة

دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر ، وإمام الصلاة ، والحاكم ، وأمير الحرب ، وعامل الصدقة ، يطاع في مواضع الاجتهاد ، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد ، بل عليهم طاعته في ذلك ، وترك رأيهم لرأيه ، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ، ومفسدة الفرقة والاختلاف ، أعظم من أمر المسائل الجزئية . ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض . والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض . يروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد ، فاحتجم الخليفة ، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ ، وصلى بالناس ، فقيل لأبي يوسف : أصليت خلفه ؟ قال : سبحان الله! أمير المؤمنين . يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع .[٣]

و- التلطف في الخطاب والمعاملة

إن التلطف أدب ينبغي أن يراعيه الداعية في دعوته ، وبخاصة مع ذوي المنزلة ؛ لما لهم من سلطان ونفوذ ، وقد أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام بالتلطف في خطاب فرعون مع عظيم طغيانه ، قال تعالى : (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)[٤] .

وتلطَّف مصعب بن عمير في خطابه مع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وهما سيدا قومهما من بني عبد الأشهل[٥] ، وذلك بعد أن دخل مصعب المدينة داعياً إلى الله ونزل في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين ، فوقف أسيد مهدداً لهما ، حاملاً حرْبته ، فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ فجلس وقرأ عليه القرآن فأسلم ، ثم أرسل إليهما سعداً فأقبل عليهما مهدداً لهما ، حاملاً حرْبته ، فقال مصعب لسعد مثل

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٩٦/١ برقم ٢٤٣ ، صحيح مسلم ، ١٧٧٩/٤ برقم ٢٢٧١ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٢٦٣٠/٦ برقم ٦٧٦٩ ، صحيح مسلم ، ١٢٩٤/٣ برقم ١٦٦٩ . وجاء ذلك في قصة قتل عبدالله بن سهل الأنصاري بخيبر ، والأخوان : حُوَيِّصة ومُحَيِّصة ابنا مسعود بن كعب الأنصاري ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ٥٣٥/٢ . ومالك هو إمام دار الهجرة صاحب المذهب ، وأبو يوسف هو صاحب أبي حنيفة وكان يرى أن الحجامة تنقض الوضوء .

(٤) سورة طه ، الآية ٤٠ .

(٥) بنو عبدالأشهل بطن من بطون الأوس من الأنصار ، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٣٣٩ .

مقولته لأسيد ، فجلس وقرأ عليه القرآن فأسلم .[١]

وكان من منهج د.عبدالرحمن السميط رحمه الله التلطف في خطاب زعماء القبائل الأفريقية ومعاملتهم ، ومن ذلك أنه لاينفذ مشاريعه الخيرية في أية قرية إلا بعد أن يستأذن من زعيمها ، فإن أذن له بتنفيذ تلك المشاريع نفَّذها ودعا أهل القرية إلى الإسلام ، فإن رفض الزعيم تنفيذ تلك المشاريع استأذنه في أن يجلس في قريته يحدث أهلها عن الإسلام ويدعوهم إليه فإن أذن له حدثهم ، وإن لم يأذن تركهم وغادرهم إلى قرية أخرى . ومن تلطفه في معاملة أولئك الزعماء حرصُه على أن يقدم الهدايا لهم مثل : الطيب أو الثياب ونحو ذلك .[٢]

ومن التلطف مع كبير السن : مناداته بـ (ياوالد) أو (ياعم) أو (ياشيخ) ، بحسب الأعراف المتبعة في المجتمع ، وتقديمه في صفوف الانتظار في الدوائر الحكومية وأماكن الزحام ودورات المياه ونحو ذلك .

ز- مخاطبة ذوي المنزلة بما يليق بهم

ظهر هذا الأمر جلياً في كتب النبي ﷺ التي أرسلها إلى الملوك حيث خاطبهم بما يناسب منزلتهم ، فوصف هرقل بأنه عظيم الروم[٣] ، وكسرى بأنه عظيم الفرس[٤] ، والمقوقس بأنه عظيم القبط[٥] ، والنجاشي بأنه عظيم الحبشة[٦] . وحينما كتب النبي ﷺ كتبه إلى أولئك الملوك قيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، نقشه : محمد رسول الله .[٧]

وقد راعى علماء الإسلام – في الماضي والحاضر – هذا الأدب في مخاطبتهم لأصحاب المنزلة من السلاطين والحكام وغيرهم ، ومن ذلك :

مخاطبة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى للخليفة العباسي المعتصم بقوله : يا أمير المؤمنين ، مع أنه جيء به إلى مجلس الخليفة متَّهماً مقيداً في فتنة خلق القرآن .[٨]

---

(١) سبق تخريج القصة في ص (٩) .

(٢) انظر الحلقة السابعة من حلقات عبدالرحمن الفاتح ، التي أعدها د.عبدالعزيز العويد ، وفيها قصص بعض زعماء القبائل الأفريقية ، الذين أسلموا وأصبحوا دعاة إلى الله تعالى في قبائلهم ، والحلقات متوفرة في موقع جمعية العون المباشر وفي مواقع أخرى في الشبكة العالمية يمكن الوصول إليها عبر أداة البحث الشهيرة جوجل .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٩/١ برقم ٧ ، صحيح مسلم ، ٣ /١٣٩٦ برقم ١٧٧٣ .

(٤) تاريخ الطبري ، ٦٥٤/٢ ، وحسَّن الألباني الحديثَ في فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٣٨٨ .

(٥) المواهب اللدنية للقسطلاني ، ١٤٣/٢ .

(٦) المستدرك للحاكم ، ج ٢ ص ٦٧٩ ، برقم ٤٢٤٤ . وسكت عنه الذهبي ، ولم يقف الباحث على من صحَّح رواية هذا الكتاب والذي قبله ، ولكن تشهد لصحة لفظ (عظيم) روايتا كتاب هرقل وكسرى .

(٧) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٢٢٠٤/٥ برقم ٥٥٣٤ ، صحيح مسلم ، ١٦٥٧/٣ برقم ٢٠٩٢ .

(٨) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ، ٣٩٩/١٤ و ٤٠١ و ٤٠٢ .

وماظهر في رسالتي النصيحة اللتين أرسلهما الإمام النووي[1] رحمه الله تعالى إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[2] ، حيث جاء في الرسالة الأولى :

وأما ما ذكر من تمهيد السلطان البلادَ ، وإدامته الجهادَ ، وفتح الحصون ، وقهر الأعداء ، فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة ، التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة ، وسارت في أقطار الأرض ، ولله الحمد ، وثواب ذلك مدخر للسلطان إلى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا)[3] .

وجاء في الرسالة الثانية : وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان -أعز الله أنصاره- فقد أقامه لنصرة الدين ، والذب عن المسلمين ، وأذل به الأعداء من جميع الطوائف ، وفتح عليه الفتوحات المشهورة في المدة اليسيرة ، وأوقع الرعب منه في قلوب أعداء الدين ، وسائر الماردين ، ومهد له البلاد والعباد ، وقمع بسببه أهل الزيغ والفساد ، وأمده بالإعانة واللطف والسعادة . فلله الحمد على هذه النعم المتظاهرة ، والخيرات المتكاثرة ، ونسأل الله الكريم دوامها له وللمسلمين ، وزيادتها في خير وعافية آمين . وقد أوجب الله شكر نعمه ، ووعد الزيادة للشاكرين ، فقال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم)[4] . [5]

وكان من عادة الشيخ محمد بن إبراهيم[6] رحمه الله تعالى التفريق في رسائله التي يكتبها ؛ فعند مخاطبة ولاة الأمر والمسؤولين في الدولة يستخدم ألقابهم الرسمية من مثل : صاحب الجلالة الملك المعظم ، أو صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء . ومثل لقب (معالي) عند مخاطبة الوزراء ، ولقب (سعادة) لمن هم دون ذلك من المسؤولين . ولقب (الأخ المكرم) لمن هم دون ذلك ممن كان يراسلهم الشيخ رحمه الله تعالى . وإلى جانب تلك الألقاب كان يدعو لهم بمثل قوله : أيده الله أو

---

(١) محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي ، ويقال النواوي نسبة إلى نوى وهي قرية من قرى حوران بسوريا ولد بها سنة ٦٣١هـ ، ومن أشهر تصانيفه : رياض الصالحين ، والأذكار ، وشرح صحيح مسلم ، والأربعون النووية ، وكانت وفاته سنة ٦٧٦هـ . انظر ترجمته في طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ، ص ٩٠٩-٩١٣ برقم ١٢ من المرتبة الثالثة من الطبقة العاشرة .

(٢) ركن الدين أبو الفتوح البندقداري ، ولد سنة ٦٢٠هـ ، وكان أحد كبار قادة المماليك في قتال التتار في معركة عين جالوت الشهيرة التي هُزم فيها التتار سنة ٦٥٨هـ ، وسعى لإعادة الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوطها في بغداد على يد التتار ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ . وقال عنه الذهبي : كان غازياً ، مجاهداً ، مرابطاً ، خليقاً للملك ، لولا ما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له ويسامحه ، فإن له أياماً بيضاء في الإسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة . انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ، ٣٠٦/١٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٠ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

(٥) انظر النص الكامل للرسالتين ، وسبب كتابتهما في تحفة الطالبين لابن العطار ، ص ٩٨-١١٠ .

(٦) مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية في عصره . ولد عام ١٣١١هـ ، وتوفي عام ١٣٨٩هـ . انظر ترجمته في مجموع الفتاوى والرسائل ، ٩/١-٢٣ .

سلمه الله .[١]

وكذلك فعل الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي[٢] رحمه الله تعالى حينما راسل عدداً من الزعماء والمسؤولين العرب ، ورؤساء الوزراء في الهند ، حيث فرق في الخطاب بما يقتضيه حال المخاطبين .[٣]

ح- طاعة أصحاب المنزلة في المعروف

إن من توقير أصحاب المنزلة طاعتهم في المعروف ، وقد أوجب الله تعالى طاعة بعض أصحاب المنزلة ، مثل أولياء الأمور ، والوالدين ، قال الله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[٤] ، وأوجب على الزوجة طاعة الزوج فقال : (الرجال قوامون على النساء)[٥] . والطاعة هنا ليست مطلقة بل هي مقيدة بالمعروف ، ولاطاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل .

إن توقير أصحاب المنزلة له آثار طيبة في المجتمع المسلم تظهر في :

أولاً- إن تحلِّي الداعية بهذا الخلق ومحافظته على هذه الصفة يُكسِبانه محبة الناس له صغاراً وكباراً ، مسؤولين وأفراداً عاديين ، متعلمين وجهالاً ، ومن ثم يكون لكلامه وقع في النفوس ، وأثر كبير في قبول دعوته عند الآخرين ، وفيه تحبيب أصحاب المنزلة في الدعوة وأهلها ، فيكونون خير عون للدعاة في عملهم ، وتيسير مهامهم وبخاصة إذا ارتبطت أعمال الدعاة بالصلاحيات الرسمية التي يملكها أولئك المُكرَمون من ذوي السلطان . كما أن محافظة الداعية على إنزال الناس منازلهم يجعله قدوة حسنة للآخرين من أفراد المجتمع في التحلِّي بهذا الخلق . والقدوة الحسنة أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ، قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)[٦] .

ثانياً- إدخال البهجة والسرور على أصحاب المنزلة عموماً ، وكبار السن خصوصاً لأنهم قد يجدون جفاءً من بعض أقاربهم .

ثالثاً- استمرار أصحاب المنزلة على ماهم فيه من القِسط والسيرة الحسنة ، وتشجيع الآخرين من أصحاب السلطان على أن يسيروا سيرتهم ويقتدوا بهم في قسطهم حينما يرون إكرام الناس لهم . ومن ثم لايكون همُّ ذي السلطان في المجتمع المسلم أن يستغل سلطانه في تحقيق مصالحه

(١) وهذا أمر مستفيض في رسائله رحمه الله تعالى ، انظر على سبيل المثال : ماجاء في الجزء الثاني من مجموع الفتاوى والرسائل في الصفحات التالية : ٤١ ، ١٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٨١ ، ٣٢٦ .

(٢) ولد في الهند عام ١٣٣٣هـ ، شغل منصب الأمين العام لندوة العلماء في الهند ، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى حين وفاته عام ١٤٢٠هـ ، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٠هـ . انظر ترجمته في خطابات صريحة للغوري ، ص ٧-١٤ .

(٣) انظر بعض هذه الرسائل التي جمعها سيد عبد الماجد الغوري في كتاب عنوانه خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء .

(٤) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٥) السورة السابقة ، الآية ٣٤ .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

الشخصية ، وجمع الحطام الفاني من هذه الدنيا . ويتأكد هذا الأمر في الأزمنة التي يصدق عليها قول النبي ﷺ : (إنها ستأتي على الناس سنون خدَّاعة ، يصدَّق فيها الكاذب ، ويكذَّب فيها الصادق ، ويؤتَمن فيها الخائن ، ويخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرُّوَيبِضَة) قيل: وما الرُّوَيبِضَة ؟ يا رسول الله قال: (السفيه يتكلم في أمر العامة) .[1]

رابعاً- إعانة أصحاب المنزلة على أداء واجبهم في إصلاح ذات البين

حينما تنشب الخلافات بين : أفراد الأسرة ، أو القبيلة ، أو الحي فيتدخل أصحاب المنزلة من العلماء والوجهاء وكبار السن ، لحل هذه المشكلات ، فإن مما يعين صاحب المنزلة على أداء مهمته في الإصلاح : مايجده من التوقير من أطراف النزاع ، فيستمعون له ويستجيبون لرأيه ونصحه ومشورته ، ويتنازلون عن رأيهم لرأيه في الأمور الاجتهادية جمعاً للكلمة ورأباً للصدع ، وتأليفاً للقلوب .

٥- إكرام أقارب ذوي المنزلة

إن إكرام أقارب صاحب المنزلة يعدُّ من إكرامه ، وكان هذا هدي النبي ﷺ وأصحابه ، ومن ذلك :

أ- إكرام رسول الله ﷺ لأبي قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما ، وكان ذلك لما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد ، أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه ، فلما رآه قال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه ؟) ، فقال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه . فأجلسه ﷺ بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال له : (أسلم) فأسلم .[2]

ب- إكرام الصحابة رضي الله عنهم لأصهار النبي ﷺ من بني المصطلق ، وكان ذلك في غزوة المريسيع[3] حينما غنم النبي ﷺ وسبى من بني المصطلق ، وتزوج من إحدى السبايا بعد أن أعتقها وهي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنها ، فما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا أن أعتقوا مَن بأيديهم مِن بني المصطلق إكراماً له ﷺ ، وإجلالاً لأصهاره أن يكونوا خدماً في البيوت ، وأرقاء يباعون ويشترون . تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم ،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ، ١٣ /٢٩١ برقم ٧٩١٢ ، وحسَّن المحقِّقون الحديث .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفارسي ، ١٨٨/١٦ برقم ٧٢٠٨ ، وحسَّن المحقق إسناده . وحسَّنه الألباني ، التعليقات الحسان ، ٢٧٣/١٠ برقم ٧١٦٤ .

(٣) المريسيع ماء لبني المصطلق – قبيلة من خزاعة – من ناحية قديد إلى الساحل ، وقعت هذه الغزوة سنة ٤هـ وقيل سنة ٥هـ وقيل سنة ٦هـ ، وكان قائد المشركين الحارث بن أبي ضرار والد أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ، ومن الأحداث الشهيرة في هذه الغزوة : حديث الإفك ، واختصام المهاجرين والأنصار بسبب خلاف على سقيا الماء . انظر السيرة النبوية لابن كثير ، ٢٩٧/٣ .

وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ . فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق[١] .

ج- إكرام الصحابة رضي الله عنهم لأخوال النبي ﷺ من الرضاعة من قبيلة هوازن ، وكان ذلك بعد هزيمتهم في حنين ، حيث أصاب رسول الله ﷺ من أموالهم وسباياهم ، ثم أدركه وفدُهم بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك . وقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا مَلَحنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر[٢] ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين . فقال رسول الله ﷺ : (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم) ، فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ . فأطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاما وأناسي كثيرا .[٣]

د- إكرام عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لبني زهرة أخوال النبي ﷺ فقد (كانت أرق شيء عليهم ، لقرابتهم من رسول الله ﷺ)[٤] ، وقبلت شفاعة رجلين منهم في ابن اختها عبدالله ابن الزبير رضي الله عنهما ، حينما استشفع بهما في خصومة وقعت بينها وبينه رضي الله عنهما .[٥]

هـ- إكرام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنة أحد المجاهدين

وكان ذلك حينما لقيت ابنة خُفَاف بن إيماء الغفاري[٦] عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما في السوق ، وشكت إليه حاجتها وحاجة أبنائها الصغار بعد وفاة زوجها ، وأخبرته أن أباها قد شهد الحديبية مع النبي ﷺ ، فوقف معها رضي الله عنه ورحَّب بها ، ولم يمضِ حتى أعطاها بعيراً عليه إناءان ملأهما طعاماً ، وحمل بينهما نفقة وثياباً ، ثم ناولها بِخِطامِه ، ثم قال: اقتاديه ، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أكثرت لها ؟ قال عمر: ثكلتك أمك ،

---

(١) سنن أبي داود ، ٧٤/٦ برقم ٣٩٣١ ، وحسَّن المحققان الحديث . وحسنه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٤٨٠/٢ .

(٢) مَلَحنا أي أرضعنا ، وابن أبي شمر من ملوك الغساسنة بالشام وكان ولاؤهم للروم ، والنعمان بن المنذر من ملوك المناذرة بالعراق وكان ولاؤهم للفرس ، وكانت مملكتا الغساسنة والمناذرة قائمتين قبل الفتح الإسلامي للشام والعراق .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٣٠/٤-١٣٢ ، بتصرف . وصحَّح الألباني الخبر ، صحيح السيرة النبوية للألباني ، ص ٢٠-٢٢ .

(٤) صحيح البخاري ، ١٢٩٠/٣ برقم ٣٣١٢ . أرق شيء : رفيقة بهم ومكرمة لهم .

(٥) انظر خبر هذه الخصومة في : صحيح البخاري ، ٢٢٥٥/٥ برقم ٥٧٢٥ .

(٦) كان إمام بني غفار وخطيبهم ، وشهد الحديبية ، وكان يقدم المدينة كثيرا ، وله ولأبيه صحبة ، مات في خلافة عمر رضي الله عنهما . الإصابة لابن حجر ، ٣٠٤/٣ برقم ٢٢٨١ .

والله إني لأرى أبا هذه وأخاها ، قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه[١] .

إن إكرام أقارب صاحب المنزلة – ذي السلطان المقسط أو الموظف الصالح ومن في حكمهما – يطمئِنه على أبنائه وأهله ، وأنهم سيلقون مايستحقونه من الحفاوة والتكريم المشروعين ، في حياته وبعد مماته ، فيشجعه هذا على المضي فيما هو عليه من العدل والسيرة الحسنة .

٦– توظيف طاقات المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى كلٌ بحسَبه

إن الأمة الإسلامية اليوم تعيش حالة من الضعف ، رغم كثرة عدد سكانها حيث تمثل خمس سكان الأرض ، ورغم سعة المساحة الجغرافية التي يعيش عليها أفرادها ووفرة الخيرات التي جعلها الله تعالى فيها . وهذا الكم الوفير من البشر يحتاج إلى عناية بالكيف ، ومن وسائل ذلك : رعاية النابهين في الأمة الإسلامية وإعطاؤهم ما يستحقونه من الاهتمام والمتابعة والبذل ، ثم الاستفادة منهم ومن مواهبهم التي منحها الله تعالى لهم . والنابهون هم أولئك الذين آتاهم الله تعالى من المُكنة ما جعلهم محاور يدور في فلكهم الآخرون ، والنابه قد يكون طالباً عبقرياً ، وقد يكون وجيهاً يأتمر بأمره كثيرون ، وقد يكون واحداً من ذوي رؤوس الأموال الطائلة ، وقد يكون شاباً متحمساً للدعوة إلى الله تعالى مستعداً للتضحية في سبيلها مؤثِّراً في الآخرين قادراً على تجميعهم ، وقد يكون غير ذلك من أصحاب المواهب . ورعاية هؤلاء النابهين والاستفادة منهم كلٌ في مجاله تُعد من باب إنزال الناس منازلهم .[٢]

وقد تباينت مواهب الصحابة رضي الله عنهم ، وأشار النبي ﷺ لذلك فقال : (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على رجل أصدق ذي لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه ألا وإن لكل أمة أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[٣] . ووصف ﷺ خالد بن الوليد رضي

---

(١) صحيح البخاري ، ١٥٢٧/٤ برقم ٣٩٢٨ . الخطام : الحبل الذي يقاد به البعير . ثكلتك أمك : كلمة تقولها العرب للإنكار على المخاطب ولا يريدون حقيقة معناها الذي هو الدعاء بالموت أي فقدتك أمك . نستفيء : نطلب الفيء وهو ما يأخذه المسلمون من يد الكفار بدون قتال . سهمانهما : جمع سهم وهو النصيب أي هما فتحاه ونحن الآن ننتفع بثمرة جهدهما .

(٢) مقالة بعنوان كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، د.عبدالكريم بكار ، مجلة البيان (مجلة شهرية يصدرها المنتدى الإسلامي بلندن) ، العدد ٦١ رمضان ١٤١٣هـ – مارس ١٩٩٣ ، ص ٧–١٢ (بتصرف) .

(٣) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ، ١٦٢/٧ برقم ٢٢١٨ ، وصحَّح المحققان إسناده . وصحَّحه الألباني ، صحيح موارد الظمآن ، ٣٥٩/٢ برقم ١٨٦٣ .

الله عنه بأنه سيف من سيوف الله .[١]

وحينما رأى رسول الله ﷺ موهبة الصحابي اليمامي[٢] رضي الله عنه في خلط الطين أثناء بناء المسجد النبوي ، قال : (قدموا اليمامي من الطين فإنه من أحسنكم له مساً)[٣] ، وفي رواية أخرى : (وأشدكم منكِباً)[٤] .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ، ذُهب بزيد بن ثابت إليه ، فأعجِب به ، وقال: (يا زيد ، تعلم لي كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابي) ، قال زيد : فتعلمت له كتابهم ، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذَقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب .[٥]

واستفاد النبي ﷺ من الموهبة الشعرية لحسان بن ثابت ، والموهبة الخطابية لثابت بن قيس الأنصاري رضي الله عنهما ، (فكان يقال لثابت خطيب رسول الله ﷺ ، كما يقال لحسان شاعر رسول الله ﷺ .)[٦] .

وبناءً على ماتقدم ينبغي الاهتمام بالنابهين من الأبناء وطلبة العلم ، فالأب الداعية والمعلم الداعية ينبغي أن يكون لديه فراسة في من يربيهم ويعلمهم ، فينتخب أفضلهم ويوليه من العناية ماليس لغيره ويحرص على تنمية مواهبه فيما ينفعه في دنياه وآخرته ، كما فعل أبوحنيفة مع القاضي أبي يوسف رحمهما الله ، فقد كان أبوه فقيراً ، وكان ينهاه عن حضور مجلس العلم عند أبي حنيفة ليتفرغ لكسب الرزق فأمره أبوحنيفة بلزوم مجلس العلم وكان يتعاهده بالدراهم مائة بعد مائة ليسد حاجته ويطمئن قلب والده .[٧]

ولاينبغي أن تقتصر رعاية الموهوبين على العلوم الطبيعية وفروعها المختلفة : كالرياضيات والأحياء والفيزياء والكيمياء بل ينبغي أن تشمل جميع العلوم وفي مقدمتها : علوم الشريعة واللغة العربية .

٧- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإن لم يكونوا مسلمين

(١) صحيح البخاري ، ١٣٧٢/٣ ، برقم ٣٥٤٧ .
(٢) طلق بن على بن المنذر بن قيس بن عمرو الحنفى ، واليمامي نسبة إلى اليمامة وهي مساكن بني حنيفة ، وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ المدينة ، وعمل معه في بناء مسجده . انظر ترجمته في : معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصفهاني ، ١٥٦٨/٣ .
(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفارسي ، ٤٠٤/٣ برقم ١١٢٢ ، وقال المحقق إسناده قوي . وصحَّحه الألباني ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ، ٣٨٨/٢ برقم ١١١٩ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ٣٩ /٤٦٣ برقم ٢٧ ، وحسَّن المحققون إسناده .
(٥) المرجع السابق ، ٤٩٠/٣٥ برقم ٢١٦١٨ ، وحسَّن المحققون إسناده .
(٦) الاستيعاب لابن عبدالبر ، ٢٠٠/١ .
(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٥٣٦/٨ .

ذكر النبي ﷺ فضائل ومناقب الكثير من الصحابة والقبائل والأمم ، وعقد المحدِّثون كتباً وأبواباً في مؤلفاتهم جمعوا فيها تلك الأحاديث .[١]

وقال ﷺ : (ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[٢] ، وقال : (من لايشكر الناس لايشكر الله)[٣] .

وحينما قدم عدي بن حاتم على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في خلافته ذكر له عمر فضله ، فقال : أسلمتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ، ووفيتَ إذ غدروا ، وعرفتَ إذ أنكروا .[٤] ، وقال له : إن أول صدقة بيَّضت وجه رسول الله ووجوه أصحابه صدقة طيِّئ ، جئتَ بها إلى رسول الله ﷺ .[٥]

ومن الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم :

أ- الثناء على المستقيم من الأبناء والجيران والطلاب وعموم المسلمين . ويشهد لمشروعية ذلك جواب الرسول ﷺ حينما سئل : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ فأجاب بقوله : (تلك عاجل بشرى المؤمن)[٦] ، فلم ينكر النبي مدح المستقيمين بأعمالهم الصالحة . ومن ذلك شُكر الدعاة إلى الله تعالى إذا ألقوا كلمة نافعة في مسجد أو مجلس بقول : جزاك الله خيراً .

ب- التعليقات الإيجابية على : ملفات الوسائط المفيدة[٧] ، والكتابات النافعة ، التي تُنشر في تطبيقات المراسلات الفورية[٨] ، وشبكات التواصل الاجتماعي[٩] ، وإبداء الإعجاب بها ، والاشتراك في القنوات التي تنشرها لتكثير سواد أهل الخير في هذه الوسائل ، ونشر تلك الملفات

---

(١) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ١٢٨٧/٣-١٣٣٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ١٣٣٥/٣-١٤٣٥ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ١٨٥٤/٤-١٩٧٣ .

(٢) سنن أبي داود ، ١٠٤/٣ برقم ١٦٧٢ ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٤٦٤/١ برقم ١٦٧٢ .

(٣) سنن الترمذي ، ٣٣٩/٤ برقم ١٩٥٤ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٣٦١/٢ برقم ١٩٥٤ .

(٤) صحيح البخاري ، ١٥٩٦/٤ برقم ٤١٣٣ .

(٥) صحيح مسلم ، ١٩٥٧/٤ برقم ٢٥٢٣ .

(٦) المرجع السابق ، ٢٠٣٤/٤ برقم ٢٦٤٢ .

(٧) ملفات الوسائط قد تكون : صوراً ، أو مقاطع صوتية ، أو مقاطع فيديو .

(٨) أشهر هذه التطبيقات : واتسآب ، وتليجرام ، وبلاك بيري . وهي تطبيقات مجانية تستخدم في الجوَّالات ، وتتوفر في المتاجر المخصصة لتطبيقات الجوَّالات وأشهرها : متجر أبل ، ومتجر جوجل بلاي .

(٩) أشهر هذه الشبكات : يوتيوب ، وفيسبوك ، وتويتر ، وإنستجرام ، وسناب شات .

والكتابات عن طريق مشاركتها مع الآخرين وذلك بإرسال روابطها إليهم .[1]

ج- الثناء على المنصِفين من غير المسلمين ، إذا كانوا مناصرين للمسلمين ، وبخاصة في المجتمعات غير الإسلامية ، وفي ذلك مصالح جمَّة منها :

أولاً : تثبيتهم على ماهم فيه من نصرة المسلمين وتأييدهم ، وربما كان هذا الثناء سبباً في دخولهم الإسلام .

ثانياً : تشجيع لغيرهم من الكافرين على أن يحذوا حذوهم .

ثالثاً : بيان خلق هام من أخلاق المسلمين وهو الإنصاف حتى مع من يخالفهم في الدين ، وقد قال النبي ﷺ لجبير بن مطعم حينما قدم المدينة ليفاوضه في إطلاق أسرى بدر : (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلَّمني في هؤلاء النَّتنى لتركتهم له)[2] ، وفي هذا الحديث اعتراف النبي ﷺ بفضل المطعم أمام ابنه لموقفين عظيمين وقفهما أبوه لنصرة الإسلام والمسلمين : الموقف الأول مشاركته مع أربعة نفر من وجهاء قريش - والخمسة على دين قومهم لم يسلموا - في نقض صحيفة المقاطعة الظالمة والتي حوصر بموجبها بنو هاشم وبنو المطلب كلهم - باستثناء أبي لهب - مسلمهم وكافرهم في شعب أبي طالب بمكة فلايباع ولايشترى منهم ، ولاينكحون ولاينكح إليهم .[3] والموقف الثاني إجارته للنبي ﷺ بعد رجوعه من الطائف .[4]

٨- المغايرة في التعامل مع الكافرين بحسب مواقفهم من المسلمين

نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين ، فقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)[5] ، وأباح سبحانه وتعالى بعد ذلك الإحسان إلى طائفة من الكافرين بقوله تعالى : (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم)[6] ؛ فغاير سبحانه وتعالى بين الفريقين بحسب مواقفهما من المسلمين مع

---

(١) لكل تطبيق ، ولكل شبكة ، طرائق في التعامل معها والاستفادة منها ، ولم ير الباحث مصلحة في تفصيل هذه الأمور التقنية ، ويمكن الاطلاع عليها في الشبكة العالمية بكتابة اسم التطبيق أو الشبكة في محرك بحث جوجل ، فتظهر شروحات هذه التطبيقات والشبكات ، ومنها شروح مصوَّرة .

(٢) صحيح البخاري ، ١١٤٣/٣ برقم ٢٩٧٠ . كلَّمني : طلب مني وتشفع أن أطلقهم . النَّتنى جمع نَتِن ، والنَّتِن ذو الرائحة الكريهة ، والمراد هنا النَّتَن المعنوي وهو كفرهم وضلالهم .

(٣) انظر خبر الصحيفة في السيرة النبوية لابن هشام ، ٣٧٥/١-٣٨٠ . وانظر خبر نقضها في ذات المرجع ١٤/٢-١٩ . وانظر كذلك : الموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٣٥٤-٣٦٠ ، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري ، ١٨١/١-١٨٢ ، وصحيح الأثر وجميل العبر للدكتور السلمي وآخرين ، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) سبق تخريجه في ص (١١) .

(٥) سورة الممتحنة ، الآية ١ .

(٦) السورة السابقة ، الآية ٨ .

اشتراكهما في الكفر .

ونهى النبي ﷺ عن قتل بعض المشركين الذين خرجوا مُكرَهين يوم بدر مع قريش[١] ومنهم : أبو البختري بن هشام[٢] ، وقد كان خرج مكرهاً بعد أن عيَّره أبوجهل ومن معه من صناديد الكفر بالجُبن والضعف[٣] ، ومن مواقفه المشهودة في نصرة المسلمين :

أ- موقفه من صحيفة المقاطعة

كان أبو البختري أحد الخمسة الذين طالبوا بنقض صحيفة المقاطعة ، وفك الحصار الذي فرضته قريش على بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب[٤] . وكان له موقف قبل نقض الصحيفة ، وهو : نصرته لحكيم بن حزام[٥] - قبل إسلامه - ضد أبي جهل ، حينما لقي حكيماً ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وهي في الشِّعب ، فحاول أبو جهل منعه ، فجاءه أبو البختري وتشاجر معه وأخذ لَحْي بعير[٦] فضرب به أبا جهل فشجَّه ، ووطئه وطأً شديدًا .[٧]

ب- موقفه من أبي جهل بعد أن ألقى أحد المشركين - بطلب من أبي جهل - على الرسول ﷺ سلا الجزور وهو ساجد عند الكعبة[٨] ، ولما خرج ﷺ من المسجد ، لقيه أبو البختري فسأله عن شأنه وألح عليه فأخبره بما فعل أبو جهل ، فمضى أبو البختري إلى أبي جهل فسأله عما فعل فاعترف فضربه بالسوط على رأسه ، فثار الرجال بعضها إلى بعض ، وصاح أبو جهل : ويحكم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٨١/٢ . ويرى د.أحمد محمد العليمي باوزير ود.مهدي رزق الله أحمد صحة هذا الخبر ، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة ص ٣٣٢ . وانظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري ، ٣٦٧/٢ .

(٢) هو العاصي بن هشام - وقيل هاشم - بن الحارث بن أسد . وقد لقيه الصحابي المُجذَّر بن ذياد البلوي رضي الله عنه يوم بدر فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنا ألا نقتلك . فقال : أنا وزميلي ؟ ومعه رجل ، فقال : لا . فرفض أمان النبي ﷺ ، فشد عليه المُجذَّر بالسيف ، فطعنه ، فقتله . وقد اعتذر المُجذَّر رضي الله عنه للنبي ﷺ بقوله : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته . انظر السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٨٠/٢-٢٨٣ .

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ، ٣٤٩/١ .

(٤) سبق تخريجه في ص (٢٥) .

(٥) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب ، ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها تأخر إسلامه إلى فتح مكة ، وعاش مائة وعشرين سنة رضي الله عنه . انظر الإصابة لابن حجر ٩٧/٢ .

(٦) اللَّحْي : منبت اللحية من الإنسان وغيره ، ولَحْي البعير : العظمة التي فيها أسنانه . تاج العروس للزبيدي ، ٣٩ / ٤٤٢ ، بتصرف .

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٣٧٩/١ . وانظر : الموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٣٥٢ . والجامع الصحيح للسيرة النبوية للدكتور المرصفي ، ٥ /١٣٧١ . وصحيح الأثر للدكتور السلمي وآخرين ، ص ١٢٤ .

(٨) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٣٢١/٢ برقم . صحيح مسلم ، ٣ /١٤١٩ برقم ١٧٩٤ ، وبقية القصة ليست في الصحيحين . السَّلا : اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان ، وهي من الآدمية المشيمة .

هي له ، إنما أراد محمد أن يلقي بيننا العداوة ، وينجو هو وأصحابه .[١]

ج- إنقاذه لسعد بن عبادة رضي الله عنه من أبي جهل ومن معه من المشركين ، بعد أن أدركوه مغادراً إلى المدينة المنورة عقب بيعة العقبة الثانية[٢] .

ومما يدل على مشروعية المغايرة بين الكافرين في التعامل : تأمين النبي ﷺ يوم الفتح جميع الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : (اقتلوهم ، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة)[٣] ، وقد استثناهم النبي ﷺ من الأمان لعظيم جُرمهم . وهذا من إنزال الناس منازلهم في الشر والتفاوت في العقوبة .

٩- إكرام المسلم الجديد

كان النبي ﷺ يكرم المسلمين الجدد ، وقد ظهر ذلك واضحاً وجلياً في حفاوته بالمسلمين الذين كانوا يفِدون عليه . ومن مظاهر هذه الحفاوة :

أ- الترحيب بهم

ومن ذلك قوله ﷺ لوفد عبد القيس[٤] : (مرحباً بالوفد الذين جاؤوا غير خزايا ولا ندامى)[٥] . وقوله لوفد من بني عامر[٦] : (مرحباً بكم ، أنتم مني)[٧] .

ب- التجمل لهم[٨] .

ج- بيان فضائلهم ، ومن ذلك قوله ﷺ حينما وفد عليه أهل اليمن : (أتاكم أهل اليمن ،

---

(١) انظر القصة بطولها في : مسند البزار ، ٢٤٠/٥ . وانظر : صحيح السيرة النبوية للعلي ، ص ٦٨ . والموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٣٨٧ ، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري ، ١٤٩/١ .

(٢) انظر القصة بطولها في السيرة النبوية لابن هشام ، ٩١/٢-٩٣ . وانظر : السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق للدكتور العودة ، ص ٣٣٦ ، والموسوعة في صحيح السيرة النبوية للفالوذة ، ص ٥٠٥ .

(٣) سنن أبي داود ٣١٨/٤ برقم ٢٦٨٣ ، وحسَّن المحقق إسناده ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سن أبي داود ، ١٤٨/٢ برقم ٢٦٨٣ . وهؤلاء الأربعة هم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبدالله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ، والمرأتان جاريتان لمقيس بن صبابة كانتا تغنيان بهجاء النبي ﷺ . وقد نجَّى الله تعالى عكرمة وابن أبي السرح رضي الله عنهما وأسلما وحسن إسلامهما .

(٤) قبيلة ربعيَّة عدنانية ، تنسب إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٢٩٥ .

(٥) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٢٢٨٥/٥ برقم ٥٨٢٢ ، صحيح مسلم ، ٤٧/١ برقم ١٧ .

(٦) قبيلة مضريَّة عدنانية ، تنسب إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٢٧٢ .

(٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفارسي ، ٢٨٢/١٦ برقم ٧٢٩٣ ، وصحَّح الأرنؤوط إسناده . وصحَّحه الألباني ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ، ٣٢٨/١٠ برقم ٧٢٤٩ .

(٨) انظر باب التجمل للوفود في صحيح البخاري ، ١١١١/٣ برقم ٢٨٨٩ .

هم أرق أفئدةً وألين قلوباً ، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية)[١] .

د- تخصيص دار لإقامتهم ، وهي دار الوفود .[٢]

هـ- منحهم الجوائز

كان النبي ﷺ يُجيز من يفد إليه ، وكان من وصاياه ﷺ في مرض موته : (أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)[٣] . وحينما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، خصَّص قسماً من إيراداتها لمن نزل به من الوفود .[٤] وكان يجيز بعض الوفود بالأراضي .[٥]

إن هذا الإكرام للوفود له أثر دعوي بالغ في نفوس أعضاء الوفد ، وفي نفوس من وراءهم من قومهم ؛ لأن كل وفد سيرجع إلى قومه فيخبرهم بما رأى من النبي ﷺ من صور الإكرام ، ويكون في هذا دعاية صالحة طيبة لدين الإسلام عند أولئك القوم ، وهذه الدعاية يقوم بها أفراد من بني جلدتهم ، فيكون أثرها أقوى من دعاية يقوم بها آخرون .

وينبغي على المسلمين في العصر الحالي إظهار الحفاوة بالمسلمين الجدد ، وإكرامهم ، ومن صور هذه الحفاوة والإكرام : إقامة الحفلات لتكريمهم والتعريف بهم ، بحضور كبار الوجهاء والمسؤولين في مناطق إقامتهم ، وأولى الجهات بتنظيم هذه الحفلات مكاتب توعية الجاليات التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية ، كما أن لإمام المسجد دوراً مهماً في هذا بتعريف جماعة مسجده بأخيهم المسلم الجديد والسلام عليه وتهنئته .

١٠- الصفح عن أصحاب المنزلة من ذوي السوابق الحسنة إذا أخطؤوا

أمر رسول الله ﷺ بالتجاوز عن هفوات أصحاب المنزلة فقال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[٦] . والمراد بذوي الهيئات : أصحاب المروءات والخصال الحميدة وقيل ذوو الوجوه من الناس .[٧] وقال الشافعي رحمه الله تعالى : وذوو الهيئات الذين يقالون عثراتهم : الذين ليسوا يعرفون

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٤٩٥/٤ برقم ٤١٢٧ ، صحيح مسلم ، ٧٣/١ برقم ٥٢ .

(٢) التراتيب الإدارية للكتاني ، ٣٤٥/١ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١١١١/٣ برقم ٢٨٨٨ ، صحيح مسلم ، ١٢٥٨/٣ برقم ١٦٣٧ . وقوله : أجيزوا الوفد أي أعطوهم ، والجائزة العطية . فتح الباري لابن حجر ، ١٣٥/٨ .

(٤) سنن أبي داود ، ٦٢٦/٤ برقم ٣٠١٢ ، وصحَّح المحقِّقان الحديث . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٢٥٤/٢ برقم ٣٠١٢ .

(٥) ومن ذلك أنه أعطى ﷺ لكل رجل وفَدَ مع هانئ بن يزيد رضي الله عنه أرضاً حيث أحب في بلاده . انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفارسي ، ٢٥٧/٢ برقم ٥٠٤ ، وجوَّد الأرنؤوط إسناده . وصحَّحه الألباني ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ، ١٤/٢ برقم ٥٠٤ .

(٦) سنن أبي داود ، ٤٢٨/٦ برقم ٤٣٧٥ . وقال عنه الأرنؤوط حديث جيد بطرقه وشواهده ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٤٨/٣ برقم ٤٣٧٥ .

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ، ٢٦/١٢ .

بالشر، فيزل أحدهم الزلة .[١]

وكلام السلف في غض الطرف عن هفوات العظماء والعلماء ، ومن غلب خيره وسبق فضله ، أكثر من أن يحصر في هذا البحث . ومن ذلك ما قاله ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : من قواعد الشرع والحكمة أيضاً : أن من كثرت حسناته وعظمت ، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يُحتمل له ما لا يُحتمل لغيره ، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث ، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث ، بخلاف الماء القليل ، فإنه لا يحتمل أدنى خبث[٢] .

وقد عفا النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة[٣] رضي الله عنه ، لسابقته في الإسلام وشهوده غزوة بدر ، مع عظيم خطئه حيث أفشى سر رسول الله ﷺ وكتب إلى أهل مكة يخبرهم بعزم النبي على غزوهم ، وكان قصده من ذلك حماية أهله الذين بمكة رضي الله عنه .[٤]

وحينما سمع الأنصارُ يوم فتح مكة الأمانَ العام الذي أعلنه النبي ﷺ لأهلها بقوله : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن) ، قال بعضهم : أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته . فنزل الوحي على النبي ﷺ يخبره بما قالوا ، فجمعهم وعاتبهم ، فاعتذروا وقالوا : والله ما قلنا إلا ضنّاً بالله ورسوله ، قال: (فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)[٥] .

وكانت عائشة أم المؤمنين تكره أن يُسب عندها حسان بن ثابت رضي الله عنهما وتقول إنه الذي قال : فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[٦] ، وقالت : إنه كان ينافح ، أو يهاجي عن رسول الله ﷺ ، وكان رضي الله عنه يستأذن عليها فتأذن له وينشدها شعراً في الثناء عليها[٧] ، فهي أنزلت حسان بن ثابت منزلته ، وتغافلت عما بدر منه من الطعن في عرضها ، وذلك لمدحه رسول الله ﷺ ومنافحته عنه .

وعفا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن الخليفة العباسي المعتصم ، الذي سجنه وجلده في محنة خلق القرآن ، وقال يوم فتح عاصمة بابك أو يوم فتح عمورية : هو في حِلٍّ من

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، ٥٨٠/٨ برقم ١٧٦٢٩ .
(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ، ٥٠٤/١ .
(٣) حاطب بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي ، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، من مشاهير المهاجرين ، شهد بدراً والمشاهد . وكان رسولَ النبي ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر . وتوفي سنة ٣٠هـ رضي الله عنه . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٤٣/٢ .
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٤٦٣/٤ برقم ٣٧٦٢ ، صحيح مسلم ، ١٩٤١/٤ برقم ٢٤٩٤ .
(٥) صحيح مسلم ، ١٤٠٧/٣ برقم ١٧٨٠ .
(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٥١٨/٤ برقم ٣٩١٠ ، صحيح مسلم ، ٢١٣٧/٤ برقم ٢٧٧٠ .
(٧) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٥٢٣/٤ برقم ٣٩١٥ ، صحيح مسلم ، ١٩٣٤/٤ برقم ٢٤٨٨ .

ضربي .[1]

ويدخل في الصفح عن أصحاب المنزلة : غض الزوج طرفه عن بعض مايقع من زوجته من هفوات ويدل على ذلك قوله ﷺ : (لايفرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[2] ، وكذلك غض الزوجة طرفها عن بعض ماتراه من زوجها ، وقد حذّر النبي ﷺ النساء من كفران العشير وعدَّ ذلك من أسباب دخول النار[3] .

والواجب قبول عذر أصحاب المنزلة إذا اعتذروا ، وقد جاء في خبر الخصومة بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ غضب حينما لم يقبل عمر اعتذار أبي بكر ، وكان الواجب عليه قبول عذره لسابقته في الإسلام والتي بيَّنها النبي ﷺ بقوله : (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ؟) ، وجاء في الحديث أيضاً أن عمر ندم على عدم قبوله اعتذار أبي بكر رضي الله عنهما فذهب إليه في داره معتذراً فوجده قد سبقه إلى رسول الله ﷺ .[4]

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٥٧/١١ . بابك الخرمي هو أحد المارقين عن الإسلام ، أراد أن يقيم ملة المجوس في فارس . وإليه تنتمي الحركة البابكية الخرمية ، ومن مبادئها : القول بتناسخ الأرواح ، وأن الوحي لا ينقطع أبدا ، وإباحة النساء، وإباحة كل ما يستلذ النفس ، وينزع إليه الطبع ، ورفض جميع الفروض الدينية . وكان من حسنات المعتصم قتل بابك سنة ٢٢٣هـ ، والقضاء على حركته . وفي نفس السنة قاد المعتصم بنفسه جيشاً لغزو المدينة الرومية عمورية بعد أن تعدى ملكها على المسلمين ، وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً ، ومثَّل بالأسرى رجالاً ونساءً . وانتصر المعتصم في هذه المعركة نصراً مؤزراً . انظر تفاصيل هذه المعركة في البداية والنهاية لابن كثير ، ٢٥٥/١٤-٢٥٩ .

(٢) صحيح مسلم ، ١٠٩١/٢ برقم ١٤٦٩ . ومعنى لايفرَك : لايبغض .

(٣) صحيح البخاري ، ١١٦/١ برقم ٢٩٨ . ومعنى كفران العشير : جحود نعمة الزوج ، وإنكار إحسانه .

(٤) صحيح البخاري ، ٣ /١٣٣٩ برقم ٣٤٦١ .

المبحث الثاني
ضوابط إنزال الناس منازلهم

يمكن من خلال استقراء النصوص الشرعية الخروج بجملة من الضوابط والملاحظات التي يجب أن يراعيها أفراد المجتمع حينما ينزلون الناس منازلهم ، وهي بحسب مااستخلصه الباحث مما وقف عليه من تلك النصوص :

١- الإخلاص في إنزال الناس منازلهم .
٢- الاعتدال في إنزال الناس منازلهم وترك المبالغة .
٣- الحرص على هداية أصحاب المنزلة لايشغل الداعية عن دعوة من هم دونهم .
٤- إنزال الناس منازلهم لايعني عدم تولية المفضول على الفاضل .
٥- إنزال الرجل منزلته في أحد الميادين لايعني تقديمه على من هو أفضل منه في كل ميدان .
٦- وفرة العطاء الذي يأخذه الرجل لايدل على أنه أعلى منزلة ممن مُنع أو أُعطي أقل .
٧- إنزال الرجل منزلته لايعني مداهنته بترك ماهو واجب في حقه .

وفيمايلي تفصيل هذه الضوابط :

١- الإخلاص في إنزال الناس منازلهم

إن الإخلاص أمر مطلوب من المسلم في جميع أعماله ابتداءً من التوحيد وهو أعظم العبادات وانتهاءً إلى أيسر الأعمال ، قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين)[١] ، وقال النبي ﷺ : (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتُغِي به وجهه)[٢] .

والعبادة في الإسلام : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .[٣] ، وهي تشمل جميع جوانب الحياة ، كما قال تعالى : (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[٤] ، وقال : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[٥] . ومن مجالات العبادة : الأخلاق التي يندرج تحتها إنزال الناس

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٢ .
(٢) سنن النسائي ، ٦/٢٥ برقم ٣١٤٠ ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن النسائي ، ٢/٣٨٤ برقم ٣١٤٠ .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١٠/١٤٩ .
(٤) سورة الطور ، الآية ٥٦ .
(٥) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

منازلهم . وإذا افتُقد الإخلاص في هذا الخُلق وقع العبد في الشرك الأصغر ، إما من باب الرياء أو من باب إرادة الإنسان بعمله الدنيا ، وكلاهما محبِط للعمل الذي يصاحبه أو مُنقِص لأجره ، وفرق مابينهما أن المرائي إنما يعمل لأجل المدح والثناء ، والمريد بعمله الدنيا يعمل لدنيا يصيبها كالمال أو المنصب[١] .

فالواجب على الداعية مراعاة الإخلاص في إنزال الناس منازلهم ؛ فيكون هدفه : الاستجابة لأمر النبي ﷺ ، وتأليف قلوب الناس وتحبيبهم في الدعوة وأهلها ، والاستفادة من جاهِهم ومالِهم في دعم المناشط الدعوية وتيسير أعمالها وتذليل العقبات التي تواجهها . ولايكون هدفه من هذا الإنزال : ابتغاءَ المدح والثناء من الناس ليقال عنه : مؤدب وكامل الأخلاق ، أو التزلفَ لأولي المنازل وأصحاب الجاه وذوي السلطان ابتغاءَ ماعندهم من متاع الدنيا له أو لأحد أقاربه ؛ كالحصول على وظيفة أو قبول في جهة تعليمية ، أو قطعة أرض ، أو إنجاز معاملة في إدارة حكومية أو غير حكومية ، أو الحصول على تزكية من بعض العلماء أصحاب المنزلة والمكانة في المجتمع تؤهله لنيل بعض المناصب ، فالنية في هذا الأمر ينبغي الوقوف عندها كثيراً لئلا تشوبها الشوائب .

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى من أصناف المغترِّين من العلماء : من يدخل منهم على سلطان ، ويتودد إليه ، ويثني عليه ، ويتواضع له ، ويقول : إنما غرضي بهذا أن أشفع في مسلم أو أدفع عنه الضرر . والله يعلم أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند السلطان لثقُل عليه ذلك . [٢]

٢- الاعتدال في إنزال الناس منازلهم وترك المبالغة

إن إنزال الناس منازلهم لايعني المبالغة في هذا الأمر ، ومن صور هذه المبالغة : مجاوزة الحد في المدح ، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الإنسان فوق منزلته ، وهذا نبينا ﷺ حينما كاتب زعماء العالم وصف كلاً منهم بأنه عظيم قومه ، فلم يعظِّم أحدهم على نفسه أو على الناس بأن يقول : سيدي أو سيدنا ، أو عظيم الناس ، أو عظيم العالم . والوصف الذي استخدمه النبي ﷺ مطابق للواقع ، وربما كان فيه إشارة إلى أن قومه هم الذين ارتضوه عظيماً عليهم . ولم يستخدم النبي ﷺ لفظ الملك لأي منهم[٣] ، قال النووي رحمه الله تعالى في بيان حكمة ذلك :

---

(١) بعض أنواع الشرك الأصغر ، د.عواد بن عبدالله المعتق ، مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (www.alifta.net) ، العدد ٣٧ ، من رجب إلى شوال ١٤١٣هـ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ وص ٢٢٣ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ، ص ٢٤٠ .

(٣) باستثناء ماجاء في إحدى روايات كتاب النبي ﷺ للنجاشي . انظر نصوص هذه الكتب في مواضعها من : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله الحيدر آبادي .

التوقي في المكاتبة واستعمال الورع فيها فلايفرِط ولايفرِّط ولهذا قال النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم فلم يقل ملك الروم لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ولا سلطان لأحد إلا لمن ولَّاه رسول الله ﷺ أو ولَّاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط ، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة[١] .

ولما سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويبالغ في مدحه ، نهى عن ذلك بقوله : (أهلكتم – أو قطعتم – ظهر الرجل)[٢] ، وعدَّ النبي ﷺ المبالغة في مدح الرجل إهلاكاً له لأن (من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيَّع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به) [٣] ، فلاتجوز المبالغة في مدح الآخرين بما يؤدي إلى إحساس الممدوح بالزهو والإعجاب والفخر والخيلاء .

إن المبالغة في المدح هي فِعل المدَّاحين الذين قال النبي ﷺ فيهم : (إذا رأيتم المدَّاحين ، فاحثوا في وجوههم التراب)[٤] ، (وأما من مُدِح بما فيه فلا يدخل في النهي فقد مُدِح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحثُ في وجه مادحه تراباً)[٥] . فالمدَّاحون المذمومون في الحديث : (هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه ، فأما من مَدحَ الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ؛ ترغيباً له في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمدَّاح ، وإن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول فيه .)[٦] .

وإذا مُدح صاحبُ المنزلة فالواجب أن يقيد المادحُ مدحَه بقوله : أحسبه ، والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحداً . [٧]

وماأجمل ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى : ما أكرمتُ أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما أكرمته به .[٨] ومثلُه ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من أنزل الناس

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٠٨/١٢ .
(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٩٤٦/٢ برقم ٢٥١٩ ، صحيح مسلم ، ٢٢٩٦/٤ برقم ٣٠٠٠ .
(٣) فتح الباري لابن حجر ، ٤٧٧/١٠ .
(٤) صحيح مسلم ، ٢٢٩٧/٤ برقم ٣٠٠٢ . وقد اختلف العلماء في معنى الأمر النبوي على خمسة أقوال ؛ فمنهم من أخذه على ظاهره أي قذف التراب في وجوههم ، ولكن لايلزم من هذا أن يدخل التراب في أنوف المداحين وأفواههم وأعينهم ، وإنما المراد قذف التراب جهة وجوههم . انظر فتح الباري لابن حجر ، ٤٧٨/١٠ .
(٥) فتح الباري لابن حجر ، ٤٧٧/١٠ .
(٦) معالم السنن للخطابي ، ١١١/٤ .
(٧) انظر في هذا الحديث المتفق عليه ، صحيح البخاري ، ٩٤٧/٢ برقم ٢٥٢٠ ، صحيح مسلم ، ٢٢٩٧/٤ برقم ٣٠٠١ .
(٨) مناقب الشافعي للبيهقي ، ١٩٠/٢ ، اتضع : نقص .

منازلهم رفع المؤونة عن نفسه ، ومن رفع أخاه فوق قدره فقد اجترّ عداوته .[١]

٣- الحرص على هداية أصحاب المنزلة لاينبغي أن يشغل الداعية عن دعوة من هم دونهم

قال الله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)[٢] ، وسبب نزول هذه الآية أن نفراً من المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يطرد عنه بعض جلسائه وفيهم بعض الضَّعفة من المسلمين ، فقالوا للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لايجترئون علينا . فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فنزلت الآية .[٣]

وقد أنزل الله تعالى قوله : (عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى)[٤] في ابن أم مكتوم الأعمى حينما أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر .[٥]

٤- إنزال الناس منازلهم لايعني عدم تولية المفضول على الفاضل

ولَّى النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما قيادة جيش المسلمين في سرية جهَّزها قبل وفاته ، وكان فيها كبار المهاجرين والأنصار ممن هم أعلى منزلة من أسامة رضي الله عنهم أجمعين ، ولما تكلم بعض الناس مستنكرين هذا الأمر قال النبي ﷺ : (إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وايم الله لقد كان خلِيقا للإمارة وإن كان من أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده)[٦] .

واستعمل النبي ﷺ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل ، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين . فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوِّروا ناراً ، فغضب عمر

---

(١) فيض القدير للمناوي ، ٥٨/٣ ، اجتر : استجلب .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ٥٢ .
(٣) صحيح مسلم ، ١٨٧٨/٤ برقم ٢٤١٣ .
(٤) سورة عبس ، الآيات ١-١٠ .
(٥) سنن الترمذي ، ٤٣٢/٥ برقم ٣٣٣١ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث غريب . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٣٦٣/٣ برقم ٣٣٣١ .
(٦) صحيح البخاري ، ١٥٥١/٤ برقم ٤٠٠٤ . وانظر شرح الحديث في فتح الباري ١٥٢/٨ . ومعنى خليقاً أي جديراً .

وهمَّ أن ينال منه ، فنهاه أبو بكر ، وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب ، فهدأ عنه عمر رضي الله عنهم أجمعين .[١]

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : في الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية .[٢]

٥- إنزال الرجل منزلته في أحد الميادين لايعني تقديمه على من هو أفضل منه في كل ميدان

أنزل النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه منزلته في قيادة جيش ذات السلاسل لما تميز به من الخبرة العسكرية ، وقدّمه على من هو أفضل منه من الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين في الميدان العسكري فقط ، ولم يقدِّمه على من هو أفضل منه على وجه الإطلاق ، ويدل على ذلك حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذي السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله ، من أحب الناس إليك ؟ قال : (عائشة) ، قلت : إني لست أسألك عن أهلك ، قال : (فأبوها) ، قلت : ثم من ؟ قال : (ثم عمر) ، قلت : ثم من ؟ حتى عدَّ رهطاً[٣] ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .[٤]

وكان عمر يحترم أبا سفيان رضي الله عنهما ؛ وذلك لأنه كان كبير بني أمية ، وكان حموَ النبي ﷺ .[٥] وهذا الاحترام لم يجعله يقدم أبا سفيان على من هو خير منه من السابقين الأولين وإن كانوا من الموالي والعبيد رضي الله عن الجميع . فقد حضر أناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والشيوخ من قريش ، فخرج آذنُه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار ، فغضب من كان واقفاً من أشراف قريش ، فقال سهيل بن عمرو : أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دُعِي القوم ودُعِيتم ، فأسرعوا وأبطأتم . ثم حضهم على الجهاد قائلاً : إن هذا القوم قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم والله

(١) المستدرك للحاكم ، ٤٥/٣ برقم ٤٣٥٧ . وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصحَّحه الذهبي .
(٢) فتح الباري لابن حجر ، ٧٥/٨ .
(٣) الرهط : الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو مادون العشرة .انظر المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين، ٣٧٧/١ .
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٣٣٩/٣ برقم ٣٤٦٢ وصحيح مسلم ، ١٨٥٦/٤ برقم ٢٣٨٤ ، ورواه البيهقي في الدلائل واللفظ له ٤٠٠/٤ . (ذات السلاسل) أي الغزوة المسماة بذلك وهو اسم مكان ، وكانت الغزوة سنة سبع للهجرة ، وقيل سميت كذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض ، وقيل لأن الأرض التي كانوا فيها ذات رمل ينعقد بعضه على بعض كالسلسلة .
(٥) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ١٠٥/٢ . وحمو الرجل أبو امرأته ، وقد تزوج النبي ﷺ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما .

إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه ، عسى الله عز وجل أن يرزقكم الجهاد والشهادة . ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام .[١]

٦- وفرة العطاء الذي يأخذه الرجل لايدل على أنه أعلى منزلة ممن مُنع أو أُعطي أقل

عندما يوسع الله تعالى على أحد عباده في متاع الدنيا فهذا لايدل بالضرورة على رضاه عن هذا العبد ، بل هو ابتلاء وامتحان منه تعالى له لينظر مايصنع بهذا المتاع ، وقد قال رسول الله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)[٢] .

وأُتي رسول الله ﷺ يوماً بمال – أو سبي – فقسمه ، فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عَتَبوا ، فحمد الله ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل، وأدَع الرجل ، والذي أدَع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأَكِل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغِنى والخير)[٣] .

وقد أعطى رسول الله ﷺ يوماً رهطاً ، وترك رجلاً هو أعجبهم إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فسأله عن سبب ذلك فقال : (يا سعد إني لأعطي الرجل ، وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يَكبَّه الله في النار)[٤] .

وقسم النبي ﷺ غنائم غزوة حنين في المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فوجدوا في أنفسهم ، وتكلم بعضهم في ذلك ، فجمعهم النبي ﷺ وخطب فيهم ، وكان مما قاله لهم : (إن قريشا حديثُ عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا ، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ لو سلك الناس وادياً ، وسلك الأنصار شِعْباً ، لسلكت شِعْب الأنصار)[٥]

---

(١) المستدرك للحاكم ، ٣١٨/٣ برقم ٥٢٢٧ ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وحسَّنه العيسى لغيره ، دراسة نقدية للعيسى ، ٥٩٨/٢ .

(٢) سنن الترمذي ، ٥٦٠/٤ برقم ٢٣٢٠ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٥٣٢/٢ برقم ٢٣٢٠ .

(٣) صحيح البخاري ، ٣١٢/١ برقم ٨٨١ . سبي : ما يؤخذ من العدو من النساء والأطفال. عتبوا : سخطوا في أنفسهم . الجزع : الضعف عن الصبر وتحمل ما ينزل به مكروه . الهلع : أشد الفزع والخوف . أَكِل : أترك . الغنى : الغنى النفسي والتعفف .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٩/١ برقم ٢٧ ، صحيح مسلم ١٣٢/١ برقم ١٥٠ . أعجبهم : أفضلهم وأصلحهم في اعتقادي ، يكبه : يلقيه منكوسا على وجهه ، والضمير في يكبه يعود على المعطَى أي أتألف قلبه بالإعطاء مخافة من كفره إذا لم يُعط .

(٥) صحيح مسلم ، ٧٣٥/٢-٧٣٦ برقم ١٠٥٩ . وللحديث روايات متعددة في الصحيحين وغيرهما ، واكتفى الباحث بهذه الرواية لدلالتها على المقصود . والطلقاء هم مسلمة الفتح الذين عفا عنهم النبي ﷺ يوم فتح مكة .

٧- إنزال الرجل منزلته لايعني مداهنته بترك ماهو واجب في حقه

هناك واجبات في حق صاحب المنزلة لاينبغي تركها ومنها :

أولاً - مناصحة صاحب المنزلة والاحتساب عليه بالحكمة

إن صاحب المنزلة - مهما علت منزلته - فرد كغيره من الأفراد في المجتمع المسلم يحتاج إلى النصيحة ، ويمكن وقوع المخالفة منه ، فيُشرَع الاحتساب عليه ، وهذا لايتعارض مع توقيره وتقديره ، إذا روعيت الحكمة في النصيحة والاحتساب[١] .

وقد قال النبي ﷺ : (الدين النصيحة) فقال الصحابة : لمن ؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٢] . والمراد بأئمة المسلمين : الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات ، ومعنى النصيحة لهم : معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم ، والصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يُغرُّوا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح .[٣]

وجاء في خبر إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه : أنه قدم إلى النبي ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب ، فقال : (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن) ، وحينما سمعه يقرأ قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)[٤] ، قال : (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه)[٥] . فمع منزلة عدي في قومه ، وحرص النبي ﷺ على إسلامه ، إلا أنه لم يجامله في أمر الدين فأنكر عليه تعليق الصليب ، وقرأ بحضوره الآية التي تنكر غلو اليهود والنصارى في علمائهم وعبادهم .

ولما وفد هانئ بن يزيد رضي الله عنه[٦] إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنُّونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: (إن الله هو الحَكم وإليه الحُكم فلم تكنّى أبا الحكم ؟) فقال: إن

---

(١) الاحتساب : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله . وله مراتب فقد يكون باليد أو باللسان أو بالقلب ، وله آداب ، وشروط ، وأحكام تفصيلية : فقد يجب في أحوال ، ويستحب في ثانية ، ويحرم في ثالثة . انظر تفصيل ذلك في : أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان ، ص ١٧٠-١٩٨ .

(٢) صحيح مسلم ، ٧٤/١ برقم ٥٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، بتصرف ، ٣٨/٢ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٣١ .

(٥) سنن الترمذي ، ٢٧٨/٥ برقم ٣٠٩٥ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث غريب . وحسَّنه ابن تيمية والألباني . مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٦٧/٧ ، وصحيح سنن الترمذي ، ٢٤٧/٣ برقم ٣٠٩٥ .

(٦) هانئ بن يزيد بن نهيك من بني الحارث بن كعب ، شهد المشاهد كلها ، وكان ابنه شريح من جلة التابعين . انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبدالبر ، ١٥٣٥/٤ برقم ٢٦٧١ .

قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال رسول الله ﷺ : (ما أحسن هذا ، فما لك من الولد؟) قال : لي شُريح ومسلم وعبد الله . قال: (فمن أكبرهم ؟) ، قال : شُريح ، قال : (فأنت أبو شريح) ، فدعا له ولولده .[١] ويظهر من الحديث أن النبي ﷺ لم يجامل هذا الصحابي صاحب المنزلة في أمر هذه الكُنية بل أنكرها عليه بأسلوب حكيم ؛ فسأله أولاً عن سببها ، ثم أثنى عليه في صنيعه الذي هو سبب كنيته ، ثم طلب منه تغييرها مبيناً السبب ، ثم دعا له ولولده تطييباً لخاطره لئلا يقع في نفسه شيء بسبب تغيير كنيته وهو سيد في قومه .

وحينما وقعت بين أبي ذر الغفاري وبين أحد الصحابة خصومة فعيَّره بأمه ، وبلغ ذلك النبي ﷺ أنكر على أبي ذر رغم منزلته ، وقال : (يا أبا ذر أعيَّرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية)[٢] ، وقد كان أبو ذر رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام ، قَدم على النبي ﷺ وهو مستخفٍ بمكة[٣] وقال النبي ﷺ عنه : (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر)[٤] .

ثانياً : إقامة الحد على صاحب المنزلة إن استوجبه

أمر رسول الله ﷺ بالتجاوز عن هفوات أصحاب المنزلة ، واستثنى من تلك الهفوات مايوجب إقامة الحد ، فقال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[٥] .

وقد أقام النبي ﷺ والصحابة من بعده الحدود على عدد من أصحاب المنزلة ومن ذلك :

أ- قطعُ يدِ المرأة المخزومية[٦] السارقة ، فلم يحاب النبي ﷺ هذه المرأة القرشية في إقامة الحد عليها ، رغم الأحاديث الواردة في فضل قريش[٧] ، وأنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما – رغم منزلتهما منه ﷺ – شفاعته في تلك المرأة وقال : (أتشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام

(١) رواه أبو داود وحسَّن المحقِّقان إسناده ، وصحَّحه الألباني . سنن أبي داود ، ٣٠٩/٧ برقم ٤٩٥٥ ، صحيح سنن أبي داود ، ٢١٦/٣ برقم ٤٩٥٥ .

(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخاري . صحيح البخاري ، ٢٠/١ برقم ٣٠ . صحيح مسلم ، ١٢٨٢/٣ برقم ١٦٦١ .

(٣) انظر قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه : صحيح البخاري ، ١٤٠١/٣ برقم ٣٦٤٨ ، صحيح مسلم ، ١٩٢٣/٤ برقم ٢٤٧٤ .

(٤) سنن الترمذي ، ٦٦٩/٥ برقم ٣٨٠١ ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، ٥٤٩/٣ برقم ٣٨٠١ . الخضراء : السماء ، أقلت الغبراء : حملت الأرض .

(٥) سنن أبي داود ، ٤٢٨/٦ برقم ٤٣٧٥ . وقال عنه الأرنؤوط حديث جيد بطرقه وشواهده ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٤٨/٣ برقم ٤٣٧٥ .

(٦) بنو مخزوم بطن من قريش ينسبون إلى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، ومنهم : أم المؤمنين أم سلمة ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، وعكرمة بن أبي جهل ، رضي الله عنهم . انظر نسب قريش لمصعب الزبيري ، ٢٩٩/٩ وما بعدها .

(٧) انظر على سبيل المثال : مارواه البخاري في صحيحه ، ١٢٨٩/٣-١٢٩١ .

فاختطب ، ثم قال : (إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[١] .

ب- إقامة حدِّ القذف على ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم تكلموا في عِرض عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حادثة الإفك[٢] ، وهم :

حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ، وقد طلب منه أن يرد هجاء المشركين له ، وقال : (يا حسان أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس)[٣] ، وحسان أنصاري خزرجي نجَّاري ، وقد قال النبي ﷺ مبيناً فضل قومه بني النجار : (خير دور الأنصار بنو النجار)[٤] .

ومِسْطَح بن أُثَاثَة[٥] وهو بدري قرشي مطَّلبي الأب والأم ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

وحَمْنة بنت جحش[٦] ابنة عمة النبي ﷺ ، وأخت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما .

ج- إقامة عمر رضي الله عنه حد شرب الخمر على قدامة بن مظعون رضي الله عنه ، وهو بدري قرشي ، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وتزوَّج اخت عمر بن الخطاب ، وتزوج عمر أخته فهو خال عبدالله بن عمر واخته حفصه ، وكان عاملاً لعمر على البحرين ، ولما ثبت عليه شرب الخمر حدَّه عمر ، وعزله عن ولايته ، رضي الله عنهم أجمعين .[٧]

ثالثاً : التسوية بين صاحب المنزلة وغيره في مجلس القضاء

جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما بعد أن ولاه القضاء : وآس بين الاثنين في مجلسك ، ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٢٨٢/٣ برقم ٣٢٨٨ ، صحيح مسلم ، ١٣١٥/٣ برقم ١٦٨٨ .

(٢) جاءت تسمية هؤلاء الصحابة في حديث رواه أبو داود في سننه . سنن أبي داود ، ٥٢٤/٦ برقم ٤٤٧٥ . وقال عنه الأرنؤوط : حديث حسن ، وحسَّنه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٧٨/٣ برقم ٤٤٧٥ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٢٢٧٩/٥ برقم ٥٨٠٠ ، صحيح مسلم ، ١٩٣٢/٤ برقم ٢٤٨٥ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٣٨٠/٣ برقم ٣٥٧٨ ، صحيح مسلم ، ١٩٤٩/٤ برقم ٢٥١١ .

(٥) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وأمه ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبدمناف بن قصي بن كلاب ، كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر ، توفي سنة ٣٤هـ ، رضي الله عنه ، وبنو المطلب دخلوا مع بني هاشم في شعب أبي طالب حينما كُتبت صحيفة المقاطعة . انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٣٩/٣ .

(٦) حمنة بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد . وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي . تزوجها مصعب بن عمير وبعد أن قتِل في أحد تزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين . انظر ترجمتها في : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ١٩١/٨ .

(٧) انظر القصة بكاملها في : السنن الكبرى للبيهقي ، ٣١٥/٨ ، وصحَّح العيسى الخبر ، دراسة نقدية ٦٤١/٢ . وانظر ترجمة عثمان بن مظعون رضي الله عنه في : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ١٦١/١ .

ضعيف من عدلك .[1]

وقد ذكر فقهاء الإسلام أوجهاً عديدة في التسوية بين الخصمين في مجلس القضاء مهما علت منزلة أحدهما ، ومن ذلك : التسوية بينهما في حسن الإقبال عليهما ، والاستماع منهما ، وألا يميل إلى أحدهما بالسلام فيخصه به ولا بالترحيب ، وألا يزيد لأحدهما في جلوسه على الآخر شيئاً كوسادة ونحوها .[2]

(١) دراسة نقدية للعيسى ، ٧٨٣/٢ . وصحَّحه الألباني ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ٢٤١/٨ برقم ٢٦١٩ . ومعنى آس أي اعدل .

(٢) انظر تفصيل ذلك في بحث د.أسماء أحمد العويس بعنوان (التسوية بين الخصوم في مجلس القضاء) .

المبحث الثالث
الواجب على صاحب المنزلة

يمكن من خلال استقراء النصوص الشرعية الخروج بجملة من الواجبات على صاحب المنزلة ، وهي بحسب مااستخلصه الباحث مما وقف عليه من تلك النصوص :

١- نسبة الفضل إلى الله تعالى .
٢- ألَّا يتطلع صاحب المنزلة إلى تعظيم الناس له .
٣- تسخير صاحب المنزلة منزلتَه في الدعوة إلى الله تعالى .
٤- الإحسان للآخرين على قدر الطاقة .
٥- تجنب صاحب المنزلة الفخرَ ونهي أتباعه عن الفخر على الآخرين .
٦- رفض صاحب المنزلة مجاوزةَ الحد في توقيره .
٧- قبول الحق أياً كان مصدره والاعتراف بالخطأ ومشاورة الآخرين .
٨- قيام صاحب المنزلة بما هو واجب عليه وإن لم ينزله الآخرون منزلته .

وفيما يلي تفصيل هذه الواجبات :

١- نسبة الفضل إلى الله تعالى

إن المنزلة في المجتمع نعمة من النعم التي ينعم الله تعالى بها على من شاء من عباده ابتلاءً وامتحاناً ، قال تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)[١] ، وقال تعالى : (ومابكم من نعمة فمن الله)[٢] ، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى يعدد نعمه على عبده يوم القيامة فيقول : (أي فُل ألم أكرمك ، وأسوِّدك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟)[٣] ، ومن ثم يجب على صاحب المنزلة أن ينسب الفضل فيما عنده إلى الله تعالى ، وألايكون مثلَ قارون الذي نسب ثروته وكنوزه إلى علمه فقال : (إنما أوتيته على علم عندي)[٤] . أو مثلَ من قال الله تعالى فيهم : (فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم)[٥] .

ومن لوازم نسبة الفضل إلى الله تعالى :

أ- إذا تحدث صاحب المنزلة بشيء مما آتاه الله إياه فالواجب أن يكون حديثه حديثَ

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٣٥ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٥٣ .
(٣) صحيح مسلم ، ٢٢٧٩/٤ برقم ٢٩٦٨ . أي فل : يافلان ، أسوِّدك : أجعلك سيدا على غيرك ، ترأس : تكون رئيس القوم وكبيرهم ، تربع : تركتك مستريحا لاتحتاج إلى مشقة وتعب ، من قولهم : اربع على نفسك أي ارفق بها .
(٤) سورة القصص ، الآية ٧٨ .
(٥) سورة الزمر ، الآية ٤٩ .

المتحدث بنعمة الله تعالى عليه عملاً بقوله تعالى : (وأما بنعمة ربك بحدث)[١] .

ب- التواضع ، وترك الإعجاب بالذات ورؤية النفس

قال رسول الله ﷺ : (لن يُدخل أحداً عملُه الجنةَ) ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (لا ، ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة)[٢] . وهذا الحديث دليل على تواضعه ﷺ وعدم إعجابه بعمله ، رغم كثرته وإحسانه فيه ﷺ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) يعني بلال بن رباح رضي الله عنه .[٣] ، ومن المعلوم في اعتقاد أهل السنة والجماعة : أن خير أصحاب النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم[٤] ، فعمرُ أعلى منزلة من بلال ، وإنما قال ما قال في حق بلال تواضعاً منه رضي الله عنهما .

ويتأكد هذا التواضع إذا مُدِح صاحب المنزلة ، وقد كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكّي قال : اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون[٥] . وحينما طُعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجاء الناس ، فجعلوا يثنون عليه ، وجاء رجل شاب ، فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك ، من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال عمر : وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي .[٦]

ج- تجنُّب المنَّ والأذى المُحبِطين لما قدَّمه من إحسان للآخرين ، قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)[٧] .

٢- ألّا يتطلع صاحب المنزلة إلى تعظيم الناس له

قد يتطلع بعض أصحاب المنزلة لأن يعظمهم الناس ويوقروهم ؛ كأن يمشوا خلفهم ، ويقبّلوا رؤوسهم أو أيديهم ، ويفسِحوا لهم في المجالس والطرقات ، ويبدؤوهم بالسلام ، ويخاطبوهم بألفاظ التعظيم والتفخيم ، ويثنوا عليهم ويمدحوهم ، ..... إلى غير ذلك من صور التعظيم ، وهذا من رؤية النفس التي لا تليق بمسلم مستقيم . وماأقبح أن يُصاب الدعاة إلى الله تعالى بهذا المرض !

---

(١) سورة الضحى ، الآية ١١ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٥/٢١٤٧ برقم ٥٣٤٩ ، صحيح مسلم ، ٤/٢١٧٠ برقم ٢٨١٦ .

(٣) صحيح البخاري ، ٣/١٣٧١ برقم ٣٥٤٤ .

(٤) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ، ص ٩٢ .

(٥) الأدب المفرد للبخاري ، ١/٤٠٧ برقم ٧٦١ ، وصحَّحه الألباني ، صحيح الأدب المفرد ص ٢٨٤ برقم ٥٨٥ . وزاد البيهقي في الجامع لشعب الإيمان : (واجعلني خيراً مما يظنون) ، ٦/٥٠٤ برقم ٤٥٣٤ . ولم يقف الباحث على حكم هذه الزيادة .

(٦) صحيح البخاري ، ٣/١٣٥٤ برقم ٣٤٩٧ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

وقد قال النبي ﷺ : (من أحب أن يَمْثُل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار)[1] .

ولايدخل في التطلُّع المشار إليه في هذا الضابط مايتطلَّع له الأب أو المعلم – ومن في حكمهما – من رؤية توقير أبنائه أو طلابه له ، وفرحهما بهذا التوقير ، لأن هذا من صلاح الأبناء والطلاب الذي يسعَد الإنسان برؤيته ، وهو – في حق الأب والمعلم – من الحرص على هداية الناس والفرح باستقامتهم ، وهذان الأمران من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية . والفارق مابين التطلُّعين المحمود والمذموم يظهر حينما لايتحقق للأب والمعلم مايتطلَّعان إليه ، فالأب المخلص وكذلك المعلم المخلص لايتوقف أحدهما عن دعوة أبنائه أو طلابه حينما لاينزلونه منزلته .

٣– تسخير صاحب المنزلة منزلتَه في الدعوة إلى الله تعالى

إن أفضلَ مايسخِّر فيه صاحب المنزلة منزلتَه الدعوةُ إلى الله تعالى ، ومساعدةُ القائمين بهذا الواجب ومعاونتُهم بما يستطيعه من أوجه المساعدة والعون . ومن ذلك :

أ– دعوة قومه إلى الإسلام

كما فعل سعد بن معاذ رضي الله عنه مع قومه حينما أسلم ، حيث قال لهم : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، وأوصلنا ، وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله . فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة .[2]

وكما فعل عبدالله بن سلام رضي الله عنه بعد إسلامه إذ استغل جاهه ومكانته عند يهود لإقامة الحجة عليهم وبطريقة ذكية لعلهم يسلِمون ؛ حيث قال للنبي ﷺ : قد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ . فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم : (يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق فأسلموا) . قالوا : ما نعلمه . قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار . قال (فأي

---

(١) سنن أبي داود ، ٥١٥/٧ برقم ٥٢٢٩ ، وصحَّح المحقق إسناده . وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٢٨٣/٣ برقم ٥٢٢٩ . يَمْثُل : يقوم وينتصب بين يديه . فليتبوأ : أمر بمعنى الخبر ، كأنه قال : من أحب ذلك ، وجب له أن ينزل منزلته من النار وحق له ذلك . قال المناوي : وذلك لأن ذلك إنما ينشأ عن تعظيم المرء بنفسه ، واعتقاد الكمال ، وذلك عجب وتكبر ، وجهل وغرور ، ولا يناقضه خبر (قوموا إلى سيدكم) لأن سعداً لم يحب ذلك ، والوعيد إنما هو لمن أحبه . وقال النووي : ومعنى الحديث زجر المكلف أن يحب قيام الناس له ، ولا تعرض فيه للقيام بنص ولا بغيره ، والمنهي عنه محبة القيام له فلو لم يخطر بباله ، فقاموا له أو لم يقوموا فلا لوم عليه ، وإن أحبه أثِم قاموا أو لا ، فلا يصح الاحتجاج به لترك القيام ، ولا يناقضه ندب القيام لأهل الكمال ونحوهم .

(٢) سبق تخريج هذه القصة ، انظر ص (٩) من البحث .

رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟) . قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : (أفرأيتم إن أسلم ؟) . قالوا حاشى لله ما كان ليسلم . قال : (أفرأيتم إن أسلم ؟) . قالوا : حاشى لله ما كان ليسلم . قال : (أفرأيتم إن أسلم ؟) . قالوا حاشى لله ما كان ليسلم . قال : (ياابن سلام اخرج عليهم) . فخرج فقال : يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله ﷺ[١] . وفي رواية أخرى لقصة إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه أمر أهل بيته فأسلموا ثم أسلمت عمته[٢] .

ب- النُّصح لقومه

كما فعل عدي بن حاتم رضي الله عنه حينما همَّ قومه بمنع زكاة أموالهم ، لما ارتد الناس على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، فقال لهم : هل لكم إلى أن تجمعوا صدقة أموالكم فآتي بها هذا الرجل ، فإن ظفر كنتم قد أخذتم بنصيبكم منه ، وإن لم يظفر فأنا ضامن لها أردها عليكم ؟ ففعلوا فأتى بها أبا بكر .[٣]

وكان لعدي موقف آخر مشرِّف حينما انضم بعض قومه إلى طليحة الأسدي مدَّعى النبوة وملخص ذلك الموقف : أن طليحة أرسل إلى جدِيلة والغَوْث وهما بطنان من بطون طيِّئ[٤] أن ينضموا إليه ، فتعجل إليه أناس من الحيَّين ، وبعث أبو بكر عدِي بن حاتم إلى قومه الغَوْث ، فخرج إليهم فمازال بهم يراجعهم إلى أن رجعوا إلى الحق وطلبوا من عدي مهلة إلى أن يسترجعوا من لحق بطليحة منهم ، فاستقبل عديٌّ خالد بن الوليد وهو متوجه لقتال قومه ، وطلب منه أن يمهلهم ثلاثاً قبل قتالهم ، ففعل فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد ، وطلب منه أن يمهل جدِيلة ليراجعهم ، ففعل فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى بايعوه ، فجاءه بإسلامهم . فكان عدي بن حاتم رضي الله عنه خير مولود ولد في أرض طيِّئ وأعظمه عليهم بركة .[٥] ولم يقتصر نفعه على قومه بني الغَوْث وإنما امتد إلى جدِيلة .

ج- ثبات العالم صاحب المنزلة على الحق زمن المحنة

كما فعل أحمد بن حنبل وقِلَّة من العلماء رحمهم الله تعالى زمن الفتنة بالقول بخلْق القرآن ، حيث ثبت على القول بأن القرآن كلام الله تعالى منزَّل غير مخلوق ، وأوذي بسبب ذلك وسجِن وجلِد ، في حين أخذ علماء آخرون بالرخصة وأعطوا الخليفة العباسي مايريد من القول بخلْق القرآن

---

(١) صحيح البخاري ، ١٤٢٣/٣ برقم ٣٦٩٩ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ، ٥٣٠/٢-٥٣١ .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ، الطبقة الرابعة من الصحابة ، ص ٦٥٤ برقم ٣٠٣ . وصحَّح المحقق إسناد الخبر .
(٤) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٣٩٨-٣٩٩ .
(٥) انظر القصة بطولها في تاريخ الطبري ، ٢٥٣/٣ .

، وقلوبهم مطمئنة باعتقاد أهل السنة والجماعة .[١]

د- النُّصح لأئمة المسلمين وولاة أمورهم

ويتأكد هذا الأمر في حق أصحاب المنزلة الذين يخالطون الحكام والسلاطين ومن دونهم ممَّن يتولون أمور المسلمين ، وقد شهد التاريخ الإسلامي عدداً من هؤلاء الناصحين ، ومنهم التابعي الجليل رجاء بن حَيْوَة[٢] رحمه الله تعالى ، ويظهر من سيرته أنه كان ناصحاً لخلفاء بني أمية الذين عاصرهم متعفِّفاً عن دنياهم ، وله معهم مواقف في النصح لايتسع المقام لذكرها نقلتْها كتب السير التي ترجمت له . ووصفه ابن كثير رحمه الله تعالى بأنه : وزير صدق لخلفاء بني أمية[٣] ، وقال عنه الذهبي رحمه الله تعالى : كان رجاء كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك ، وعند عمر بن عبد العزيز ، وأجرى الله على يديه الخيرات ، ثم إنه بعد ذلك أُخِّر ، فأقبل على شأنه .[٤] ولم يمنعه هذا التأخير من مواصلة مناصحة خلفاء بني أمية ، ومن ذلك ماكتبه لهشام بن عبدالملك بعد قتله لاثنين من أهل البدع ثم وقوع شيء في نفسه من ذلك : (فوالله لقتلهما أفضل من ألفين من الروم والترك)[٥] . وكان من أجلِّ أعمال رجاء : أنه حينما همَّ سليمان بن عبدالملك أن يكتب كتاباً يستخلف فيه ابنه على المسلمين ، نصحه رجاء بألَّا يفعل وأشار عليه بأن يستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده ، واستجاب سليمان لنصيحته رحمهم الله جميعاً .[٦]

٤- الإحسان للآخرين على قدر الطاقة

إذا أحسن الله تعالى إلى العبد بأن جعل له منزلة في مجتمعه ، فالواجب عليه أن يقابل هذا الإحسان بمثله ، قال تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)[٧] ، وصور الإحسان كثيرة ومنها :

أ- الشفاعة الحسنة للآخرين

وتتأكد هذه الشفاعة في حق الضَّعفة من المسلمين الذين لايستطيعون رفع حاجاتهم إلى من

(١) انظر ملخص هذه المحنة في : البداية والنهاية لابن كثير ، ٣٩٦/١٤ .

(٢) الإمام القدوة ، الوزير العادل ، الفقيه ، من جلة التابعين . أخرج له أصحاب الكتب الستة أحاديث . سمع من جملة من الصحابة منهم : معاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وعبادة بن الصامت . وممن حدَّث عنه : مكحول ، وقتادة ، والزهري . وقد عاصر من خلفاء بني أمية : عبدالملك بن مروان وأبناءه الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، وعاصر أيضاً عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله تعالى . توفي سنة ١١٢هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٥٥٧/٤-٥٦١ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ، ٦٣/١٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٥٦٠/٤ .

(٥) الشريعة للآجري ، ٩٢١/٢ برقم ٥١٦ . والرجلان المشار إليهما : غيلان الدمشقي ورفيقه صالح بن سويد وهما من القدرية النُّفاة .

(٦) انظر قصة هذا الاستخلاف مفصلة في تاريخ الطبري ، ٥٥٠/٦-٥٥٢ .

(٧) سورة الرحمن ، الآية ٦٠ .

بيده قضاؤها من المسؤولين ، والشافع مأجور إن شاء الله تعالى سواء قضيت حاجة المحتاج أم لم تُقض . وكان النبي ﷺ إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال : (اشفعوا فلتؤجروا ، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء)[١] .

ولكن هذه الشفاعة مشروطة بألاتؤدي إلى إبطال حق أو إحقاق باطل ، وألاتؤدي إلى إحراج الشافع واضطراره إلى مالايحل ؛ لأن بعض المشفوع عندهم ربما استغل شفاعة الشافع للضغط عليه وإلجائه إلى مالايحل من التصرفات والقرارات ، فيشترط على الشافع قضاء مصالح أخرى له غير مشروعة ومن ثم تكون هذه الشفاعة سيئة ، وهي بمثابة المقايضة التي لايُبتغى بها وجه الله تعالى .

ب- إنفاق المال في أوجه البر والإحسان المختلفة إذا كان صاحب المنزلة من ذوي الأموال والثراء

ومن هذه الأوجه : دعم مشاريع الدعوة إلى الله مثل : بناء المساجد ودعم حلقات تحفيظ القرآن الكريم . والإصلاح بين الناس ، وتحمُّل الديات في القتل الخطأ أو في القتل العمد .

وقد كفلت الشريعة الإسلامية حقاً في الزكاة لمن أنفق في الإصلاح بين الناس وذلك في سهم الغارمين[٢] ، وعدَّه النبي ﷺ من الثلاثة الذين تحل لهم المسألة[٣] .

ج- تفقد الضَّعفة وخاملي الذِّكر

ينبغي على صاحب المنزلة ألَّاتشغله منزلتُه عن تفقُّد من هم دونه منزلة من الضَّعفة وخاملي الذكر في مجتمعه الذي يعيش فيه بحسب استطاعته ، وهذه سنة نبوية ، فقد كان النبي ﷺ يقول : (ابغوني ضعفاءكم ، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم)[٤] .

وفي إحدى الغزوات التي أفاء الله تعالى فيها على نبيه ﷺ ، سأل أصحابه (هل تفقدون من أحد ؟) قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً وفلاناً . ثم قال : (هل تفقدون من أحد ؟) قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً وفلاناً . ثم قال : (هل تفقدون من أحد ؟) قالوا : لا . قال : (لكني أفقد جُلَيبيباً[٥] ، فاطلبوه) ، فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه ، فقال : (قتل سبعة ، ثم قتلوه هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه) . فوضعه النبي ﷺ على

---

(١) صحيح البخاري ، ٢٧١٨/٦ برقم ٧٠٣٨ .
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ٣٢١/٢٣ .
(٣) صحيح مسلم ، ٧٢٢/٢ برقم ١٠٤٤ .
(٤) سنن الترمذي ، ٢٠٦/٤ برقم ١٧٠٢ ، وقال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح . وصحَّحه الألباني ، صحيح سن الترمذي ، ٢٥٦/٢ برقم ١٧٠٢ . ابغوني فعل أمر من بغى يبغي بغاء إذا طلب ، والمعنى هاتوا لي . انظر شرح الحديث في تحفة الأحوذي للمباركفوري ، ٢٩١/٥ .
(٥) جُلَيبيب تصغير جِلباب ،وهو صحابي أنصاري ،كان قصيراً دميماً رضي الله عنه. أسد الغابة ، ٥٥٠/١ برقم ٧٧٢ .

ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ ، فحُفِر له ووضِع في قبره رضي الله عنه .[١]

وكانت امرأة سوداء تَقُمُّ المسجد – أو شاب – ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها – أو عنه – فقالوا : مات . قال : (أفلا كنتم آذنتموني) ، فقال : (دلوني على قبرها) فدلوه ، فصلى عليها .[٢]

٥– تجنب صاحب المنزلة الفخر ونهي أتباعه عن الفخر على الآخرين

حينما يتأدب أفراد المجتمع المسلم بالأدب المشروع مع أصحاب المنزلة ، فالواجب على هؤلاء الحذر من أن يتسلل إلى نفوسهم شيء من الفخر المُفضي إلى التعالي والكبر واحتقار الآخرين ، وهي أمراض نفسية تصيب بعض أصحاب الجاه والسلطان ؛ حينما يرون تعظيم الناس لهم ، في حين أن الواجب عليهم شكر المنعم عز وجل ، واحترام الآخرين ، وتقدير تلك المحبة والرعاية منهم .

وحينما عدَّد النبي ﷺ بعض فضائله التي اختصه الله تعالى بها ، نفى عن نفسه الفخر بهذه الخصائص حيث قال : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفَّع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر)[٣] .

ولايكتفي صاحب المنزلة بعدم الفخر بل يجب عليه أن ينهى أتباعه عن ذلك ، وقد نهي النبي ﷺ عن تفضيله على موسى عليه الصلاة والسلام فقال : (لا تخيّروني على موسى)[٤] ، وبالرجوع إلى سبب هذا الحديث يظهر (أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر ، أو على وجه الانتقاص بالمفضول)[٥] .

٦– رفض صاحب المنزلة مجاوزةَ الحد في توقيره

يجب على صاحب المنزلة ألَّايقبل بمجاوزة الآخرين الحد في توقيره ، ومن صور هذه المجاوزة :

أ– مجاوزة الحد في مدح صاحب المنزلة

نهى نبينا ﷺ وهو سيد ولد آدم عن المبالغة في مدحه فقال : (لاتطروني ، كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله)[٦] . وحينما قدم رجل على النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم ، ١٩١٨/٤ برقم ٢٤٧٢ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٧٦/١ برقم ٤٤٨ ، صحيح مسلم ، ٦٥٩/٢ برقم ٩٥٦ . تقم : تكنس ، آذنتموني : أعلمتموني .

(٣) سنن ابن ماجة ، ٣٦٢/٥ برقم ٤٣٠٨ ، وقال الأرنؤوط : صحيح لغيره . وصححه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه ، ٤٠٢/٣ برقم ٣٤٩٦ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ١٢٥١/٣ برقم ٣٢٢٧ ، صحيح مسلم ، ١٨٤٤/٤ برقم ٢٣٧٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ١٥٩/١ .

(٦) صحيح البخاري ، ١٢٧١/٣ برقم ٣٢٦١ . الإطراء : الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه ، وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه . وإطراء النصارى عيسى عليه الصلاة والسلام : دعواهم فيه الألوهية وغير ذلك .

وبالغ في مدحه ، أنكر عليه قوله ، فقال : (يا أيها الناس عليكم بتقواكم ، لايستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله)[١] .

ب- تفضيل صاحب المنزلة على من هو خير منه

كان الصحابة رضي الله عنهم يرفضون تفضيلهم على من هو خير منهم ، ومن ذلك : أن عمرَ بلغه أن رجلاً فضله على أبي بكر رضي الله عنهما ، فضربه بالدرَّة ، ثم قال : أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا ، من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري .[٢]

وحينما بلغ علياً أن قوماً يفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين ، أنكر ذلك على منبر الكوفة ، وقال : من قال شيئا من هذا فهو مفترٍ عليه ما على المفتري ، إن خيرة الناس رسول الله ﷺ ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر .[٣]

ج- التوقير بأفعال محرمة

ومن الأفعال المحرمة في التوقير : السجود ، ويدل على ذلك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ . فقال: (ما هذا يا معاذ ؟) قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم[٤] ، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك ، فقال رسول الله ﷺ : (فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[٥] .

٧- قبول الحق أياً كان مصدره والاعتراف بالخطأ ومشاورة الآخرين

ينبغي على صاحب المنزلة أن يقبل الحق ويتعلمه ولو صدر ممن هو دونه منزلة ، وموسى تعلم من الخضر عليهما الصلاة والسلام[٦] مع أنه أفضل منه ؛ فهو من أولي العزم من الرسل[٧] .

و استفاد نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من المعلومات التي قدمها له الهدهد عن مملكة سبأ في دعوة ملكتها وقومها إلى الله تعالى[٨] .

(١) مسند أحمد ، ٢٣/٢٠ برقم ١٢٥٥١ وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وصحَّحه الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ٨٨/٣ برقم ١٠٩٧ .

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ، ٣٠٠/١ برقم ٣٩٦ ، وصحَّح المحقق إسناده . وصحَّح ابن تيمية إسناد الحديث كذلك ، انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٥٨٥ .

(٣) السنة لابن أبي عاصم ، ٤٨٠/٢ برقم ٩٩٣ ، وحسَّن الألباني إسناده .

(٤) الأساقفة جمع أَسقُف وهو لقب ديني لأحبار النصارى فَوق القسيس ودون المطران ، والبطارقة جمع بطريق وهو مقدَّم النصارى ورئيس رؤساء الأساقفة . المعجم الوسيط ص ١٨ ، ٦١ .

(٥) سنن ابن ماجة ٥٩/٣ برقم ١٨٥٣ ، وقال الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وقال الألباني : حسن صحيح ، صحيح سن ابن ماجة ، ١٢١/٢ برقم ١٥١٥ .

(٦) انظر سورة الكهف ، الآيات ٦٠-٨٢ .

(٧) الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر العسقلاني ، ص ٢٤-٣٢ .

(٨) انظر سورة سبأ ، الآيات ٢٠-٤٤ .

وينبغي على صاحب المنزلة أيضاً الاعتراف بالخطأ إن صدر منه في حق الآخرين ، والاعتذار منهم ، فقد جاء في خبر الخصومة بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أبا بكر اعتذر من عمر .[١] واعتذر أبو بكر كذلك من سلمان ، وصهيب ، وبلال ، ونفر من الصحابة رضي الله عنهم ، حينما أتى عليهم أبو سفيان ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : (يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك) فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي .[٢]

ولاينبغي لصاحب المنزلة أن يستبد برأيه مهما علت منزلته في العلم أو الفطنة أو الوظيفة أو الشهادة ، ويجب عليه أن يشاور الآخرين من أهل الاختصاص فيما يتخذه من قرارات .

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ – وهو سيد ولد آدم – أن يشاور أصحابه ، فقال : (وشاورهم في الأمر)[٣] ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .[٤] ومما وصف الله تعالى به عباده المؤمنين قوله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم)[٥] .

ومثل ذلك قبول أبي بكر مشورة عمر رضي الله عنهما في جمع القرآن الكريم مع أنه كان لايرى مشروعية هذا الجمع .[٦] وكان عمر من أهل مشورة أبي بكر ؛ ولذا استأذن أبو بكر أسامة ابن زيد في بقاء عمر عنده مع أنه كان في الجيش الذي جهزه النبي ﷺ قبل وفاته بقيادة أسامة رضي الله عنهم أجمعين .[٧]

٨– قيام صاحب المنزلة بما هو واجب عليه وإن لم ينزله الناس منزلته

حينما يقصِّر المجتمع أو بعض أفراده في القيام بالواجب تجاه صاحب المنزلة ، فالواجب عليه ألَّا تتطلع نفسه لذلك ، وألَّا يدع ما أوجبه الله عليه تجاه المجتمع المسلم بحجة أن أفراده أو بعضهم لم يعطوه حقه من التوقير والتقدير ، فيكون عمله لغير وجه الله . ولاشك في أن الأكمل والأمثل أن يؤدي أفراد المجتمع ماهو واجب عليهم تجاه كل صاحب منزلة ، لكن إن قصروا هم في أداء هذا الواجب فلايكون هذا التقصير مبرراً لصاحب المنزلة لترك الواجب عليه .

---

(١) صحيح البخاري ، ١٣٣٩/٣ برقم ٣٤٦١ .
(٢) صحيح مسلم ، ١٩٤٧/٤ برقم ٢٥٠٤ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .
(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفارسي ، ٢١٧/١١ برقم ٤٨٧٢ .
(٥) سورة الشورى ، الآية ٣٨ .
(٦) انظر خبر هذا الجمع في صحيح البخاري ، ٢٦٢٩/٦ برقم ٦٧٦٨ .
(٧) دراسة نقدية للعيسى ، ٥٢٧/١ . وحسَّن المؤلف الأثر .

وأنبياء الله عز وجل لم تنزلهم أمَمُهم منزلتهم الواجبة لهم من الإيمان والتصديق والاتباع ، بل كذبتهم ، واتهمتهم بالسحر والكهانة ، وحاربتهم ومن آمن معهم ، فصبروا على ما كُذِّبوا ، وواصلوا دعوتهم لأمَمهم ، إلى أن أذِن الله بهلاك تلك الأمم . وأنبياء الله هم الأسوة والقدوة لكل داعية ، سواءٌ أكان قاضياً في محكمة ، أو أستاذاً في جامعة ، أو معلماً في مدرسة ، أو طبيباً في مستشفى ، أو موظفاً في إدارة مخصَّصة لقضاء مصالح الناس ، فأصحاب المنزلة هؤلاء يتعاملون مع أخلاط من الناس وقد لايلقون منهم التوقير والتقدير رغم إخلاصهم وتفانيهم في عملهم ، فالواجب عليهم أن يثبتوا على ماهم عليه من الإخلاص والنصح للآخرين ، وليكن شعار كل منهم قوله تعالى : (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولاشكوراً)[1] .

ولْيتهيَّأ كل صاحب منزلة لموقف أو مواقف يظهر من خلالها جحود من بعض الناس ، وإنكارهم لفضله وإحسانه ، وهذا نبينا محمد ﷺ لم يسلم من ذلك الجحود والنكران ومن أمثلة ذلك : ما قاله أحدهم : يا رسول الله اعدل . فقال : (ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) . وحينما استأذن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في ضرب عنق ذلك الرجل لم يوافق على طلبه[2].

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يدخل عليه رجل من الأعراب فيتهمه بالبخل والظلم ، ويقول له : يا ابن الخطاب ، والله ما تعطينا الجَزْل ، وما تحكم بيننا بالعَدْل . فغضب عمر ، حتى هم بأن يقع به ، ثم أعرض عنه حينما ذكَّره من استأذن لذلك الأعرابي بقول الله تعالى : (خذ العفو وأْمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [3] .

ومأأجمل ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى : رضا الناس غاية لا تدرَك ، فعليك بالأمر الذي يصلِحك فالزمهُ ، ودع ما سواه فلا تعانِهِ . فإرضاء الخلْق لا مقدور ولا مأمور ، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور .[4] ومراد الشافعي رحمه الله تعالى أن إرضاء جميع الخلْق غير مقدور عليه كوْناً وغير مأمور به شرعاً ، فالناس أجناس ، ما يُرضي بعضهم قد يُسخط آخرين ، بخلاف إرضاء الخالق فهو مقدور عليه كوْناً ومأمور به شرعاً . فالواجب على كل صاحب منزلة : أن يجتهد في تحقيق مرضاة الله تعالى فإن رضي الناس عنه فذلك فضل من الله ، وإن لم يرضوا عنه فذاك شأنهم ، وحسبه اجتهاده في تحقيق مرضاة الله تعالى .

(١) سورة الإنسان ، الآية ٩ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، ٢٥٤٠/٦ برقم ٢٩٧٨ ، صحيح مسلم ، ٧٤٤/٢ ، برقم ١٠٦٤ . والرجل هو ذو الخويصرة التميمي ، وكان اعتراضه على قِسمة قسَمها النبي ﷺ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ . والحديث في صحيح البخاري ، ٢٦٥٧/٦ برقم ٦٨٥٦ . وهذا الأعرابي هو عيينة بن حصن الفزاري وقد سبقت ترجمته في ص (١٣) . والجَزْل : الكثير ، فتح الباري لابن حجر ، ٢٥٩/١٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ٣٤٩/٢ .

الخاتمة

١- الناس يتفاوتون في منازلهم ، ومن أهم مظاهر حكمة الداعية أن ينزلهم منازلهم من الخير أو الشر . ويظهر هذا الإنزال في التطبيقات التالية : الحرص على دعوة أصحاب المنزلة إلى الإسلام ، والاستفادة منهم في خدمة الدعوة ، وتأليف قلوبهم ، وتوقيرهم ، وإكرام أقاربهم . وتوظيف طاقات المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى كلٌ بحسبه . والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإن لم يكونوا مسلمين . والمغايرة في التعامل مع الكافرين بحسب مواقفهم من المسلمين . وإكرام المسلم الجديد . والصفح عن أصحاب المنزلة من ذوي السوابق الحسنة إذا أخطؤوا .

٢- يوصي الباحث أفراد المجتمع بمراعاة الحدود الشرعية في إنزال الناس منازلهم ، والتنبه إلى جملة من الملاحظات في هذا الباب ، وأهمها : الإخلاص في إنزال الناس منازلهم ، والاعتدال وترك المبالغة . وإنزال الرجل منزلته لايعني : عدم تولية المفضول على الفاضل ، أو تقديمه على من هو أفضل منه في كل ميدان ، أو ترك ماهو واجب في حقه من النصيحة أو إقامة الحد أو مساواته بغيره في المواطن التي تستوجب ذلك . كما أن وفرة العطاء الذي يأخذه الرجل لايدل على أنه أعلى منزلة ممن مُنِع أُعطي أقل .

ولاينبغي للداعية أن يشغله الحرص على هداية أصحاب المنزلة عن دعوة من هم دونهم .

٣- يوصي الباحث أصحاب المنزلة في المجتمع بشكر هذه النعمة ، وشكرها لايكون باللسان فقط بأن يقول الإنسان : الحمد لله والشكر لله . ويكتفي بذلك ؛ فالشكر باللسان هو نوع من الشكر لابد منه ، ولكن الشكر العملي مطلوب كذلك ، ومنه : أن ينسب صاحب المنزلة الفضلَ إلى الله تعالى ، ومن ثم يتجنب الفخر ورؤية النفس ، وينهى أتباعَه عن الفخر على الآخرين . ومن الشكر العملي أيضاً : أن يوظِّف صاحب المنزلة منزلتَه في : خدمة الآخرين ، والدعوة إلى الله تعالى ، وإصلاح ذات البين ، وتفقُّد الضَّعفة وخاملي الذِّكر .

ويوصي الباحث صاحب المنزلة أيضاً بألا تتطلع نفسه إلى تعظيم الآخرين له ، وأن يقوم بما هو واجب عليه وإن لم ينزله الآخرون منزلته . وأن يتواضع ويقبل الحق أياً كان مصدره ، وأن يعترف بخطئه ، وألا يستبد برأيه .

٤- يوصي الباحث الدعاة إلى الله تعالى بالتأدب بأدب الخلاف ، وترك التبديع أو التفسيق أو التضليل أو التجهيل أو الاتهام بالمداهنة ، في المسائل الاجتهادية المتعلقة ببعض صور التوقير ومخالطة الحكام وأصحاب الجاه والسلطان ؛ فهذه مسائل اختلفت فيها اجتهادات العلماء منذ العصور الأولى ، وليس لأحد أن ينكر على أحد في مسائل الاجتهاد ، وليس قول أحد المجتهدين فيها بحجة على الآخر . وإذا خلصت نية الداعية في تحري الصواب واتباع الدليل ، فهو مأجور إن

شاء الله تعالى أجرين إن وفق للصواب وأجراً واحداً إن لم يوفق له ، والإثم مرفوع عن الجميع .

مراجع البحث

١- القرآن الكريم .
٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيَّام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
٣- الأدب المفرد ، البخاري ، تحقيق سمير بن أمين الزهيري ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢-١٩٩١م .
٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت-دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر القرطبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢ م .
٨- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ود.عبدالسند حسن يمامة ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٩- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
١٠- أصول الدعوة ، د.عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م .
١١- إكمال المعلم بفوائد مسلم ، القاضي عياض ، تحقيق د.يحي إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١٢- أنزلوا الناس منازلهم ، حامد شاكر العاني ، بحث منشور في الشبكة العالمية .
١٣- البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .
١٤- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٣هـ .
١٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، تم إصدار الجزء الذي رجع إليه الباحث عام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
١٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الذهبي ، تحقيق د.بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م .
١٧- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق د.بشار عوَّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .
١٨- تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، تحقيق عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
١٩- تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
٢٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المباركفورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٢١- تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ، ابن العطار ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ، الدار الأثرية ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م . وهو مطبوع في مقدمة تحقيق كتاب الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي .
٢٢- التراتيب الإدارية ، الكتاني ، تحقيق د.عبدالله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة الثانية .
٢٣- التسوية بين الخصوم في مجلس القضاء ، د.أسماء أحمد العويس ، بحث منشور في الشبكة العالمية ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٢٤- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ، الألباني ، دار باوزير للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٦- الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، د.سعد المرصفي ، مكتبة ابن كثير ، القاهرة - الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
٢٧- الجامع لشعب الإيمان ، البيهقي ، أشرف على تحقيقه مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
٢٩- جمل من أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق د.سهيل زكار ود.رياض الزركلي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٣٠- جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة .
٣١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
٣٢- خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، جمع سيد عبد الماجد الغوري ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق-بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٣٣- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
٣٤- دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسياسته الإدارية ، عبدالسلام بن محسن آل عيسى ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٣٥- دلائل النبوة ، البيهقي ، تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
٣٦- الزهر النضر في حال الخضر ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق صلاح مقبول أحمد ، مجمع البحوث الإسلامية ، الهند ، الطبعةالأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، طبعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣٨- سنن ابن ماجة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٣٩- سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٤٠- سنن الترمذي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار الحديث ، القاهرة .
٤١- السنن الكبرى ، البيهقي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٤٢- السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
٤٣- السنة ، ابن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت-دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٤٤- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٤٥- السيرة النبوية الصحيحة (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية) ، د.أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٤٦- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ، د.سليمان بن حمد العودة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، طبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٤٧- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة ، د.مهدي رزق الله أحمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .
٤٨- السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .
٤٩- السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرَين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، طبعة

١٣٥٥هـ-١٩٣٦م .
٥٠- شرح العقيدة السفارينية ، ابن عثيمين ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ .
٥١- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و د.عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٥٢- شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ، ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٥٣- شرح موطأ مالك ، وبهامشه سنن أبي داود ، الزرقاني ، المطبعة الخيرية .
٥٤- الشريعة ، الآجري ، تحقيق د.عبدالله بن عمر الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
٥٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ابن تيمية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
٥٦- صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ ، د.محمد بن صامل السلمي وآخرون ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م .
٥٧- صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، مكتبة الدليل ، الجبيل ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .
٥٨- صحيح البخاري ، تحقيق د.مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير-اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق-بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٥٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٦٠- صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٦١- صحيح سنن أبي داود ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٦٢- صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٦٣- صحيح سنن النسائي ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٦٤- صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم بن محمد العلي ، راجعه د.همام سعيد ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٦٥- صحيح السيرة النبوية ، الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
٦٦- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ .
٦٧- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م .
٦٨- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الألباني ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
٦٩- صفات الداعية ، د.حمد بن ناصر العمار ، دار أشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
٧٠- صفات الداعية الناجح ، صالح بن محمد العليوي ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
٧١- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، ابن الصلاح ، تحقيق موفق عبدالله عبدالقادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .
٧٢- ضعيف سنن أبي داود ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٧٣- طبقات الفقهاء الشافعيين ، ابن كثير ، تحقيق د.أحمد عمر هاشم ود.محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٧٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ، الطبقة الرابعة من الصحابة ، تحقيق د.عبد العزيز عبد الله السلومي ، مكتبة الصديق ، الطائف ، طبعة ١٤١٦ هـ .
٧٥- الطبقات الكبرى لابن سعد ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٧٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح ابن القيم ، العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٧٧- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .

٧٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٧٩- فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ، تحقيق د. وصي الله محمد عباس ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٨٠- فقه السيرة النبوية ، محمد الغزالي ، بتعليق الألباني ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦م .
٨١- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٣٩١هـ-١٩٧٢م .
٨٢- مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، العدد ٣٧ ، من رجب إلى شوال ١٤١٣هـ .
٨٣- مجلة البيان (مجلة شهرية يصدرها المنتدى الإسلامي بلندن) ، العدد ٦١ ، رمضان ١٤١٣هـ - مارس ١٩٩٣ .
٨٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه عبدالرحمن ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٨٥- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله الحيدر آبادي ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٨٦- مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، علق عليه شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
٨٧- المدخل إلى علم الدعوة ، د.محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٨٨- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفي عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٨٩- مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، إشراف د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
٩٠- مسند البزار ، تحقيق د.محفوظ الرحمن زين الله وآخرين ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٩١- المسيرة لمجدد جنوب الجزيرة ، بندر بن فهد الايداء ، دار المنهاج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
٩٢- المصفى من صفات الدعاة ، عبدالحميد البلالي ، دار الدعوة ، الكويت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ .
٣٩- معالم السنن ، الخطابي ، تصحيح محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م .
٩٤- المعجم الوسيط ، مجموعة من المؤلفين بإشراف أ.د.شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٩٥- معرفة الصحابة ، أبونعيم الأصفهاني ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
٩٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبدالرحمن بن حسن بن قائد ، مجمع الفقه الإسلامي ، جدة .
٩٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، القرطبي ، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، دمشق -بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧-١٩٩٦م .
٩٨- مقومات الداعية الناجح ، د.علي بن عمر بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، جده ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ .
٩٩- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ، د.سعيد بن علي القحطاني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
١٠٠- مناقب الشافعي ، البيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
١٠١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .
١٠٢- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الهيثمي ، تحقيق حسين الداراني و عبده الكوشك ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

١٠٣- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمد القسطلاني ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت – دمشق – عمان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
١٠٤- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
١٠٥- الموسوعة في صحيح السيرة النبوية ، محمد إلياس الفالوذة ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .
١٠٦- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د.عبدالوهاب المسيري ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .
١٠٧- موقع الألوكة ، (www.alukah.net/library/0/76439) .
١٠٨- موقع جامع الكتب المصورة ، (kt-b.com) .
١٠٩- موقع جمعية العون المباشر ، (direct-aid.org) .
١١٠- موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، (www.alifta.net) .
١١١- موقع الشيخ عبدالعزيز بن باز ، (www.binbaz.org.sa) .
١١٢- موقع المسلم (www.almoslim.net) .
١١٣- موقع منظمة حراس المدينة ، (www.nkusa.org) .
١١٤- نسب قريش ، مصعب الزبيري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مراجعة أحمد محمد شاكر وعادل الغضبان ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .

فهرس المحتويات

المقدمة

أولاً : أهمية الموضوع.....(٢)

ثانياً : مصطلحات البحث ومشكلته .....(٣)

ثالثاً : الدراسات السابقة.....(٤)

رابعاً : منهج البحث.....(٥)

المبحث الأول

تطبيقات إنزال الناس منازلهم

١- الحرص على دعوة أصحاب المنزلة إلى الإسلام والاستفادة منهم وإن لم يسلموا .....(٧)

نماذج من حرص النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم على دعوة أصحاب المنزلة

أ- حرص النبي ﷺ على إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي جهل

ب- حرص النبي ﷺ على إسلام عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه .....(٨)

ج- حرص النبي ﷺ على إسلام مالك بن عوف النصري رضي الله عنه

د- حرص مصعب بن عمير وأسعد بن زاراه على إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهم

د- حرص الأنصار على إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهم.....(٩)

نماذج من حرص الدعاة في العصر الحاضر على دعوة أصحاب المنزلة

أ- حرص الشيخ عبدالله القرعاوي رحمه الله تعالى على دعوة زعماء القبائل الجنوبية

ب- حرص د.عبدالرحمن السميط رحمه الله تعالى على دعوة زعماء القبائل الأفريقية.....(١٠)

٢- تأليف قلوب أصحاب المنزلة.....(١١)

أ- التأليف ببيان الفضائل

ب- التأليف بالمال.....(١٢)

ج- التأليف بأمور تعلي القدر

د- التأليف بقبول الهدية

هـ - التأليف بالمداراة

٣- توقير أصحاب المنزلة .....(١٣)

أ- تقبيل اليد والرأس.....(١٤)

ب- القيام للداخل.....(١٥)

ج- الإفساح في المجلس

د- تقديم كبير السن
هـ - ترك الإنسان اجتهاده تقديراً لاجتهاد صاحب المنزلة.....(١٦)
و- التلطف في الخطاب والمعاملة
ز- مخاطبة ذوي المنزلة بما يليق بهم.....(١٧)
ح- طاعة أصحاب المنزلة في المعروف.....(١٩)
آثار توقير أصحاب المنزلة في المجتمع المسلم
٥- إكرام أقارب ذوي المنزلة .....(٢٠)
أ- إكرام رسول الله ﷺ لأبي قحافة رضي الله عنه
ب- إكرام الصحابة رضي الله عنهم لأصهار النبي ﷺ
ج- إكرام الصحابة رضي الله عنهم لأخوال النبي ﷺ من الرضاعة.....(٢١)
د- إكرام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأخوال النبي ﷺ من بني زهرة
هـ - إكرام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنة أحد المجاهدين
٦- توظيف طاقات المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى كلٌ بحسبه .....(٢٢)
٧- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإن لم يكونوا مسلمين .....(٢٣)
أ- الثناء على المستقيم من الأبناء والجيران والطلاب وعموم المسلمين .....(٢٤)
ب- التعليقات الإيجابية على ماينشر في تطبيقات المراسلات الفورية والشبكات الاجتماعية
ج- الثناء على المنصفين من غير المسلمين إذا كانوا مناصرين للمسلمين.....(٢٥)
٨- المغايرة في التعامل مع الكافرين بحسب مواقفهم من المسلمين
نهي النبي عن قتل بعض المشركين الذين خرجوا مكرهين يوم بدر.....(٢٦)
٩- إكرام المسلمين الجدد .....(٢٧)
هدي النبي ﷺ في التعامل مع الوفود
١٠- الصفح عن أصحاب المنزلة من ذوي السوابق الحسنة إذا أخطؤوا .....(٢٨)

المبحث الثاني

ضوابط إنزال الناس منازلهم

١- الإخلاص في إنزال الناس منازلهم.....(٣١)
٢- الاعتدال في إنزال الناس منازلهم وترك المبالغة.....(٣٢)
٣- الحرص على هداية أصحاب المنزلة لايشغل الداعية عن دعوة من هم دونهم.....(٣٤)
٤- إنزال الناس منازلهم لايعني عدم تولية المفضول على الفاضل

٥- إنزال الرجل منزلته في أحد الميادين لايعني تقديمه على من هو أفضل منه في كل ميدان.....(٣٥)
٦- وفرة العطاء الذي يأخذه الرجل لايدل على أنه أعلى منزلة ممن مُنع أو أُعطي أقل.....(٣٦)
٧- إنزال الرجل منزلته لايعني مداهنته بترك ماهو واجب في حقه
أولاً : مناصحة صاحب المنزلة والاحتساب عليه بالحكمة.....(٣٧)
ثانياً : إقامة الحد على صاحب المنزلة إن استوجبه .....(٣٨)
ثالثاً : التسوية بين صاحب المنزلة وغيره في مجلس القضاء .....(٣٩)

المبحث الثالث

الواجب على صاحب المنزلة

١- نسبة الفضل إلى الله تعالى.....(٤١)
٢- ألا يتطلع صاحب المنزلة إلى تعظيم الناس له .....(٤٢)
٣- تسخير صاحب المنزلة منزلته في الدعوة إلى الله تعالى.....(٤٣)
أ- دعوة قومه إلى الإسلام
ب- النصح لقومه.....(٤٤)
ج- ثبات العالم صاحب المنزلة على الحق زمن المحنة
د- النصح لأئمة المسلمين وولاة أمورهم.....(٤٥)
٤- الإحسان للآخرين على قدر الطاقة
أ- الشفاعة الحسنة للآخرين
ب- إنفاق المال في أوجه البر والإحسان.....(٤٦)
ج- تفقد الضعفة وخاملي الذكر
٥- تجنب صاحب المنزلة الفخر ونهي أتباعه عن الفخر على الآخرين.....(٤٧)
٦- رفض صاحب المنزلة مجاوزة الحد في توقيره
أ- مجاوزة الحد في مدح صاحب المنزلة
ب- تفضيل صاحب المنزلة على من هو خير منه.....(٤٨)
ج- التوقير بأفعال محرمة
٧- قبول الحق أياً كان مصدره والاعتراف بالخطأ ومشاورة الآخرين
٨- قيام صاحب المنزلة بما هو واجب عليه وإن لم ينزله الآخرون منزلته.....(٤٩)
الخاتمة .....(٥١)
مراجع البحث .....(٥٣)
فهرس المحتويات.....(٥٨)